كلمة لابدّ منها

(الاديب) التي كانت تطل على قرائها الاعزاء في مطلع كل شهر يؤسفها ان تكون الظروف والاحداث المأساوية القاهرة قد حالت دون ما عودت مناصريها ومحبيها على مدى عقود من السنين لم تترك فيها ساحة الجهاد ولم تغب عن اطلالاتها .

والقراء الاحباء يعرفون انها كانت ظروفا واحداثا غير عادية لا يمكن تحاشي ما سببته في تلك الفتنة الهوجاء الرهيبة الطاحنة التي عصفت بلبنان . ومع ضراوتها التي عطلت كل تحرك بقيت (الاديب) في المضمار بالرغم مما تعرض له منزل صاحبها من تخريب وتدمير بسبب القصف بحيث اضطر الى تركه على حين غرة وترك مكتب المجلة ومحتوياته من مواد ومستندات ومراجع دون ان يتمكن من نقل شيء معه . ومع ذلك بقي مصرا على اصدار المجلة من مكان آخر لا تتوفر له فيه الامكانات الضرورية ، عدا ان (الاديب) عانت من توقف البريد في صادره ووارده اشهرا متواصلة ، ومن فقدان رسائل عديدة وكتب وسوى ذلك مما تحتاجه المجلة وقد انقطع عنها انقطاعا تاما . وفوق ذلك كله لم يعد احد متمكنا من الذهاب والاياب والاتصال في سبيل العمل على ملاحقة المطبعة والمشرفين على تنفيذ ما يتطلبه اصدار الاعداد .

ونحن نلفت الانتباه الى ان مواد هذا العدد ، الذي هو بين ايدي قرائنا الان ، قد صفت قبل استفحال الحالة التي شلت كل نشاط ، وما تلاها من حوادث مؤلمة ومزعجة ودموية ، ولكننا لم نتمكن من طبعه وانجاز كل ما يتعلق به بسبب جمود كل حركة وتعطل كل عمل . .

وما يجدر بنا ان نقوله الان ، وفي كل حين ، الحمد لله الذي نرجو ان يرفع عنا كل كابوس وكل ما افقدنا الكثير من مسببات الحياة ، والذي نرجو ان يعيدنا الى بيتنا ومكتبنا بعد ان ننتهي من اصلاح وترميم التخريب والتدمير اللذين لحقا بهما ، فنتابع من مقرنا الاساسي الرسالة التي نذرنا لها نفسنا ، والتي عليها وقفنا حياتنا .

ان (الاديب) لتعتز بقرائها ومناصريها الكرام الذين بفضل تشجيعهم ومؤازرتهم وصمودهم الى جانبها بقيت في الساحة رافعة الجبين ، مثابرة على خدمة آداب اللغة العربية العزيزة ، وايجاد الصلات وتمتينها بين ادبائها في مختلف اقطار العالم العربي والمغتربات ، وثقتها كبيرة بالله ليمكنها من التغلب على الخسائر المادية الفادحة التي تعرضت لها ، والخروج من هذه المحنة الحادة ، ومتابعة السير في الطريق الشاقة التي سلكتها ، والتي ترجو ان تظل قادرة على سلوكها .

الاديب

الامام الشافعي شاعراً

بقلم الدكتور محمد سعد فشوان
الاستاذ المساعد في الكلية المتوسطة بالجوف ـ السعودية

* * *

الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠ـ٢٠٤)هـ واحد من الائمة الاربعة الكبار ، اصحاب المذاهب الشهيرة في الفقه الاسلامي ولد بغزة ، ودفن بمصر ، وتنقل بين اقطار كثيرة ، كالعراق والحجاز واليمن ومصر .

ورغم اشتهاره رضي الله عنه بمذهبه الفقهي في العراق ، ثم بمذهبه الفقهي الجديد في مصر كان دائرة معارف واسعة لشتى العلوم في عصره .

حدث الربيع بن سليمان انه قال : كان الشافعي ـ رحمه الله ـ يجلس في حلقته اذا صلى الصبح ، فيجيئه اهل القرآن ، فاذا طلعت الشمس قاموا ، وجاء اهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فاذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فاذا ارتفع الضحى تفرقوا ، وجاء اهل العربية والعروض والنحو والشعر ، فلا يزالون قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه قد لزم هذيلا في البادية يتعلم كلامها ، ويأخذ طبعها ، وكانت افصح العرب ، وقد اخبر انه مكث فيهم سبع عشرة سنة يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، فلما رجع الى مكة جعل ينشد الاشعار ، ويذكر الاداب والاخبار ، وايام العرب ، وقد مر به رجل من الزبيريين من بني عمومته فقال له : يا أبا عبد الله : عز علي الا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء الفقه ، فتكون قد سدت اهل زمانك ، فقال له : فمن بقي تقصد ؟ فقال له : مالك بن انس ـ سيد المسلمين يومئذ ـ قال :

فوقع في قلبي فعمدت الى « الموطأ » فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهرا ، ومن هنا بدا اشتغاله بالفقه ، واصبح افقه الناس بكتاب الله عز وجل ، وفي سنة رسوله صلى‌الله عليه وسلم ، واشدهم ورعا ، حتى قيل: انه كان يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة ، كل ذلك في صلاة .

* * *

وشهادة علماء عصره له تفصح عن علو منزلته في باب الفصاحة والبلاغة ، ورفعة شانه في الشعر .

فقد حدث الربيع ن سليمان قال : سمعت عبدالملك ابن هشام النحوي صاحب المغازي يقول : « الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة » .

وقال الربيع بن سليمان ايضا : « كان الشافعي عربي النفس ، عربي اللسان » .

وقال احمد بن سريج : « ما رايت احدا افوه ولا انطق من الشافعي » .

وقال الجاحظ : « نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم ، فلم ار احسن تاليفا من المطلبي ، كان كلامه ينظر درا الى در » .

وقال ابن خلكان صاحب الوفيات : « وقد اجمع العلماء قاطبة من اهل الحديث والفقه والاصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وامانته ، وعدله وزهده وورعه وحسن سيرته ، وعلو قدره ، وسخائه » .

وقال عنه ابن دريد في رثائه له :

تسربل بالتقوى وليدا وناشئا ... وخص بلب الكهل مذ هو يافع
وهذب حتى لم تشر بفضيلة ... اذا التمست الا اليه الاصابع
فمن يك علم الشافعي امامه ... فمرتعه في ساحة العلم واسع

وقد وقعت على الطبعة الثالثة من ديوان الشافعي الذي جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزغبي ، ونشرته مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ـ لبنان (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٤ م) فرايته على صغر حجمه مفعما بتلك الروح الابية العالية لهذا الرجل ، وقد جمع ديوان الشافعي اولا الاستاذ زهدي يكن ، ويبدو ان الرجلين تركز عملهما في جمع ما تناثر من منسوب الشعر للامام الشافعي في بطون الكتب وخاصة كتاب « المحمدون من الشعراء » للقفطي ، و « حلية الاولياء وطبقات الاصفياء » للاصفهاني ، و « معجم الادباء » لياقوت ، و « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، و « البداية والنهاية » لابن كثير ، وكتب التراجم والطبقات .

وقد ذكر الزغبي انه حذف اسانيد بعض القصائد ، واثبت ما وجده لازما ، وان ما فاته الاطلاع عليه تداركه من الديوان الذي جمعه سابقه زهدي يكن فغدا بذلك الديوان بازا قرينه جودة وضبطا وزيادة وتقنينا ـ على حد قوله .

ونحن مع جامع الديوان في انه لا يصح لنا ان نجزم بصحة هذه القصائد كلها للشافعي ، وقد فات جامع الديوان التنبيه على القصائد محل الخلاف في نسبتها اليه ، ولو فعل لكان ذلك ادعى لتقدير ما قام به من جهد ،

وادنى الى الكمال الذي نرتجيه .

* * *

والناظر الى اشعار الشافعي يجد انها لا تعدو فن الحكمة والتسليم بقضاء الله وقدره ، والحض على العلم، واعطاء العبر المستمدة من واقع خبرة الشافعي بالحياة ، وسبره لاغوارها ، بعد ان ذاق حلوها ومرها ، لقد كانت تجاربه وعظاته هي في واقعها بمثابة الاضواء التي سلطها بثاقب فكره على كثير من مشكلاتنا وعلى ما للبشر من معاناة اليمة في الحياة .

ونرى فيها البعد عن السوءات الشعرية التي تزري بالشعر وصاحبه وعن كل ما كان للشعراء من سقطات وتبذل واستجداء ومجون .

والرحيل بالنفس الانسانية الى رحاب العلم ، واستمداد العبرة من الدهر وتقلبه ، وما فيه من صروف ونوب، والارتفاع بها الى ذرى الاخلاق ومدارج الكمال (1).

* * *

يبدو ان الشافعي رضي الله عنه كان يأوي في مسيرته مع الزمن الى ايكة الشعر ، وفي ظلالها كانت تلك اللحظات الآنسات التي عاد فيها الى نفسه المكدودة فخفف عنها بعض ما كانت تقاسيه من آلام واوصاب الحياة ، واشدها في نظرنا آلام النفس لا متاعب البدن ، حين يخبط الحظ في الناس خبط عشواء ، دون ان يدرك للتفرقة بين صالح وطالح معنى ، استمع اليه يقول في الحظوظ :

تموت الاسد في الغابات جوعا ولحم الضأن تأكله الكلاب
وعبد قد ينام على حرير وذو نسب مفارشه التراب

وفي الاديب :

اصبحت مطرحا في معشر جهلوا حق الاديب فباعوا الراس بالذنب
والناس يجمعهم شمل وبينهم في العقل فرق وفي الاداب والحسب
كمثل ما الذهب الابريز يشركه في لونه الصفر والتفضيل للذهب
والعود لو لم تطب منه روائحه لم يفرق الناس بين العود والحطب

وقد ذاق الشافعي الدنيا وطعمها ، وسيق اليه عذبها وعذابها ، ثم لم يرها الا غرورا وباطلا ، وجيفة هائلة تتجاذبها الكلاب :

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم ارها الا غرورا وباطلا كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها
فطوبى لنفس اولعت قعر دارها مغلقة الابواب مرخى حجابها

وشعر الشافعي في هذا المعنى لا يملك المرء ازاءه ان يسقط منه بيتا ، فالذي يكتب دراسة عن شاعر اي شاعر يجد نفسه مضطرا لاختيار بعض الشعر وطرح بعضه ، وقد يحس بالرضا والقناعة بما وقع اختياره عليه ، ولقد قيل : اختيار المرء من عقله ، ولا كذلك شعر الشافعي ، غير اننا نسوق هنا بعضا من اشعاره ، ونترك للقارىء فرصة الاطلاع على نظيرها في الديوان ، مع ملاحظة ان ما نسوقه هنا يأتي منا على غير اختيار ، فالنفس لا تقنع الا بذكر ما قاله الشافعي من غير حذف او اختصار ، ولكن طبيعة الدراسة تفرض هذا الحذف الذي اردناه .

على ان حديث الشافعي عن عزة النفس ، وعرفان حقوقها ، والذي شغل حيزا لا بأس به في الديوان يدفعنا الى ذكر بعض نماذجه ، لانه يكشف عن جانب مضيء في حياة الرجل ، وهو جانب الاخلاق الفاضلة والخلال النبيلة التي يجب ان يتخلق بها العلماء ، وكان رضي الله عنه علما اشم بين علماء جيله، وشاء الله ان يبقى كذلك بعد ان خلده الزمن ، وبقي على الدهر كما كان .

يقول رضي الله عنه :

يخاطبني السفيه بكل قبح فاكره ان اكون له مجيبا
يزيد سفاهة فازيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا

* * *

اذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من اجابته السكوت
فان كلمته فرجت عنه وان خليته كمدا يموت

* * *

لما عفوت ولم احقد على احد ارحت نفسي من هم العداوات
اني احيي عدوي عند رؤيته لادفع الشر عني بالتحيات
الناس داء وداء الناس قربهم وفي اعتزالهم قطع المودات

انه يريد التوسط ، التوسط في كل شيء ، ففيه راحة النفس والبال معا .

ولا شك ان من يروم الكتابة في الجانب الخلقي عند الشافعي لا يجد غنى له عن مراجعة شعره في هذا الغرض، فهو ترجمان صادق عن طويته ، ولا ادل على ذلك من انه رضي الله عنه لم يتخل عن مبدأ اقر بصحته في شعر له ابدا ، انظر اليه يقول في نفس معنى البيت الاخير :

اذ الم اجد خلا تقيا فوحدتي الذ واشهى من غوي اعاشره
واجلس وحدى للعبادة آمنا اسر لعيني من جلوس احاذره

كان الشافعي معتزا بنفسه ، يعرف لها حقها كاملا دون أدنى تهاون بها ، ولقد قيل :

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس اهونا

حدث ابو الفضل نصر بن ابي نصر الطوسي قال : سمعت ابا الحسن علي بن احمد القصري يقول : حدثني بعض شيوخنا قال : لما اشخص الشافعي الى (سر من راى) (2) دخلها وعليه اطمار رثة ، وطال شعره ، فتقدم الى مزين فاستقذره لما نظر الى رثاثته ، فقال له : تمضي الى غيري ، فاشتد على الشافعي امره فالتفت الى غلام كان معه فقال : ايش معك من النفقة ؟ قال : عشرة دنانير قال: ادفعها الى المزين ، فدفعها الغلام اليه فولى الشافعي وهو يقول :

علي ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها نفوس الورى كانت اجل واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده اذا كان غضبا حيث وجهته فرى

ونختم حديثنا عن عزة نفسه وابائه بهذه الابيات :

لقلع ضرس وضرب حبس ونزع نفس ورد امس

وقر برد وقود فرد | ودبغ جلد بغير شمس
واكل ضب وصيد دب | وصرف حب بارض خرس (٣)
ونفخ نار وحمل عار | وبيع دار بربع فلس
وبيع خف وعدم الف | وضرب الف بحبل قلس (٤)
اهون من وقفة الحر (م) | يرجو نوالا بباب نحس

وقد زانه رضي الله عنه تواضعه ، وهو تواضع العلماء ، وكان بلا شك ثمرة من ثمار عرفانه بنفسه دون مبالغة في تفخيمه لها او حيفه عليها ، اليس القائل :

كلما ادبني الدهـ | ـر اراني نقص عقلي
واذا ما ازددت علما | زادني علما بجهلي

* * *

اما حديثه عن العلم واهله ، والترحال في طلبه ، فحديث حافل بحب العلم ، والتفاني في تحصيله ، واحترام اهله ، واعلاء شأنهم ، والاشادة بالصفات التي يتحلون بها من الذكاء والحرص والاجتهاد وغير ذلك ، استمع اليه يقول جاعلا تلك الصفات بعض ما لتحصيل العلم من شروط :

اخي لن تنال العلم الا بستة | سانبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة | وصحبة استاذ وطول زمان

وقديما قيل :

من ياخذ العلم عن شيخ مشافهة | يكن عن الزيف والتصحيف في حرم
ومن يكن آخذا للعلم من كتب | فعلمه عند اهل العلم كالعدم

* * *

والذي يلفت نظر المطلع على شعره اشتمال الديوان على العديد من المقطعات الشعرية ، مع قلة القصائد ، واعني بالقصيدة ما حدها العلماء باشتمالها على سبعة ابيات فصاعدا « من حيث الكم طبعا » .

ولعل السر في ذلك هو ان الشافعي كان لا يقول ما لا خير فيه ، وانه قد اشتد حرصه على شرف الكلمة ، دون الوقوع فيما قد يقع فيه غيره من لغو القول وتفاهة المعاني ، فجاءت اشعاره موجزة مفيدة .

يضاف الى ذلك اشتهاره بعلوم الدين والفقه ، وما اتى مغايرا لذلك من شعر وغيره اصبح متناثرا في بطون الكتب ، يؤتى به احيانا للاستشهاد على صحة راي او صدق قضية ، او فسادهما ، او بيان حكم من الاحكام ، او حث على فضيلة من الفضائل او خليقة من الخلائق ، تناثرت اشعاره في بطون الكتب فأصبح من غير الميسور ان نحتويها ، او ان تصل اليها ايدينا ، دون ان يند منها شيء ، وما نصل اليه ياتي وكأنه جزء من كل ، او حبة قد فرطت من عقد .

* * *

وكانت للشافعي احيانا فراسة المفتي. حدث الربيع ابن سليمان قال : كنا عند الشافعي اذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم ، ثم كتب فيها ودفعها اليه قال : فقلنا : يسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلحقنا بالرجل ، واخذنا الرقعة فقرأناها واذا فيها :

سل المفتي المكي هل في تزاور | وضمة مشتاق الفؤاد جناح ؟

قال : واذا اجابته اسفل من ذلك :

اقول : معاذ الله ان يذهب التقى | تلاصق اكباد بهن جراح

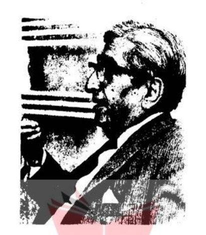
قال الربيع : فانكرت على الشافعي ان يفتي لحدث بمثل هذا ، فقلت : يا ابا عبد الله تفتي بمثل هذا شابا ؟ فقال لي : يا ابا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس هذا الشهر ـ يعني شهر رمضان ـ وهو حدث السن ، فسأل هل عليه جناح ان يقبل او يضم من غير وطء ؟ فأفتيته بهذه الفتيا . قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي انه مثل ما قال الشافعي فما رايت فراسة احسن منها (٥) .

ولا يغني ـ في ظننا ـ ما ذكرناه هنا عن الشافعي شاعرا عن مراجعة الديوان ففي كل بيت من جليل المعاني ورائق الفكر ما ينبت غراس الحكمة في قلوب عشاق امثال تلك الاشعار ، فرضي الله عن الشافعي وسلام عليه في الخالدين .

١ ـ انظر ص ٢ ، ٣ من الديوان ، تحقيق محمد عفيف الزعبي ط٣
٢ ـ سامراء ـ بلدة في العراق .
٣ ـ خرس ـ لا تنبت زرعا ولا كلا .
٤ ـ قلس ـ جمع قلوس ، وهو حبل السفينة الضخم في اصل الاستعمال .
٥ ـ وانظر البيتين ايضاً في معجم الادباء ج ١٧/ ٣٠٥ ط مكتبة البابي الحلبي .

سكاكا ـ الجوف ـ السعودية — محمد سعد فشوان

بدوي الجبل



(محمد سليمان الاحمد)
(١٩٠٥ ـ ١٩٨١)

ونفسي لو ان الجمر مس اباءها　　على بشرها الريان لاحترق الجمر
«بدوي»

● شاعر جيل ـ كاتب تراث ـ رحالة قديم في مجاهل النفس ، ومذاهب القومية ، وخلجان الموت .

● دفن في قريته السلاطة ـ جارة حصون الخضر ـ جبال اللاذقية كما تدفن الطيور الغريبة في صخرة الريح ..

● مهداة الى اكرم زعيتر ، مفكر مناضل، قلم قضية ، صديق زمن ، تكبر في عطاء نفسه نفسك .

«الياس خليل زخريا»

غنيت حتى أنتشى من قلبك الوتر　　ومت حتى ارتوى من موتك الحجر
سافرت من جبل الشريين.. من وطني　　من شاطئي. من ضلوعي. والهوى سفر
سبعون لو زرعت في محل ماحلة　　لاجتاحها الخصب والافياء والمطر
تمضي كأنك خطف الريح بادية　　من البوادي يناجي رملها الحضر
سكبت في كل رؤيا سكب منعتق　　يا عاشق الضوء. انظر. خانني النظر
نفنى ونخلد لا كوخ ولا جدث　　نشدو وننشد.. لا سمع ولا بصر..

★ ★ ★

ذاك الرعيل ، رعيلي ، اين منزلـه ؟ وأين يا شاعري.. التيجان والدرر ؟
وموكب من جـلال الشعر قبتـه فوق القباب بناها الليـل والسهر
وحكمة كجنـاح الضـوء واقفـة وامـة رسلـها الاقـلام والفكـر

★ ★ ★

تلك البطولات صلت في مناسكهـا كما تصلي على اهدابـك الصـور
تلفتت وهي ثكلى ، من ينادمهـا ؟! من يطلق ((النسر))؟ من تجثو له العصر؟
من يفتـح الارض ابوابـا مشرعـة على العقول ولا يعنيـه ما الخطـر ؟

★ ★ ★

بني اميـة انا نحـن رايتـكم ونحن نحـن الألى نغـزو وننتصر
في كل قافيـة حصـن وصومعـة في كل بيـت صهيل الحق .. والظفر
تلك المجاهـل في الاعماق ننزلهـا على الجمـال وانتـم حولهـا الاطر
كتابنـا من ضمير الله مرتشـف وقلبنـا من شفاه الشمس معتصر

★ ★ ★

يا شاعـر الشام ريشي ريشه الوبر يا شاعر الشام نفسي نفسها الحذر
.. صبوا ((الحديد)) على بيتي فقلت لهم جرحي كجرح الهوى في الود مختصر
ونحن اهل كتاب ، اهلنـا قطـع من القلوب وان جاروا .. وان عثروا

★ ★ ★

نهلت من صوتك الحادي فصاحتـه انا الرمـال وانـت الفيء والشجـر
بداوة من جبـالي ليس يسكنهـا الا الجبـال والا الشمس والسحر
والفكر ، والهودج العالي ، وقافلـة تسري فيسري الى واحاتهـا البشر

★ ★ ★

قل لي بربك هل شاهـدت سارية الا وفي راسهـا من راسنـا اثـر
لقبت نفسـك تخفيها وتظهرهـا يا باطـن النفس ان المنتهى وعـر
كيف اقتحمت الذرى والريح جاثمة؟! كيف اعتمرت الردى والقبر مندثر ؟!
قلاعنـا يا رفيـق الحرف اشرعـة على الثلوج .. فداك البحر والجزر
شدوت شـدوك في سهلي وفي جبلي والطير تسكن حيث الغصن والثمـر

★ ★ ★

مررت ((بالمرجة)) الخضراء وا لهفي امشي ويمشي عليها الدهر وانضجر
كانت منابرنا ، كانـت منازلنـا كانت دمشق .. وانت الشاعر الخطر
كانت ((عكاظ)) وكان النهر بردتهـا متى يعود اليهـا الليـل والسمر ؟

★ ★ ★

اين القصائـد ترويـنا وتنشدنا ؟ اين الاهازيـج ؟ اين الدرب والحفر؟
.. وجامع يجمـع الدنيا كأن بـه كنز الاساطـير يهديـه ويعتـذر

←

→

أُقوى من القوة الفولاذ قوته   هو التراث ونحن السادة الغرر
تبكي على الحجر التاريخ يطمره   قومي ، ولو سكنوا التاريخ ما طمروا
والخلد ما الخلد الا ((البيت)) ترفعنا   فيه الشهادة ، والتكبير ، والقدر

★ ★ ★

لبنان يا ازل الآزال جلجلة   لبنان يا الم الالام منتصر
تعشق الموت حتى كنت احسبه   قبرا تقيم به الاجيال والعبر
وناحت ينحت الاقدار صنعته   مستحدث من رخام النفس مبتكر
انى التفت رايت الصخر يسالني: من انت ؟ عفوك اني الزهو والكبر

★ ★ ★

يا شاعر الجبل البيداء هاك دمي   قلبي على الشوق والاشراق منفطر
وامتي امة النسيان تائهة   مع الزمان يلاشي وعيها الخدر
مكانها في شموخ الارض منعزل   ورايها في صراع الراي منحدر
تشردت في مصب الليل جانحة   على الضفاف .. وفي ايمانها خور
وامسها الامس مقدام ومعتصم   ويومها اليوم مرتد ومحتكر
ابراجها لرياح الثار منطلق   وارضها لانين القهر مختبر
.. سالتها عنك قالت : لست اعرفه   لعله في رواق الموت منتظر
جدف .. فكم آمر لو رحت تكتبه   لجف في الحبر حتى الحبر والخبر

★ ★ ★

فصحى وانت جنى الفصحى وموسمها   جادتك ابرادها الايات والسور
بلاغة من بيان الحق مشرقة   على القوافي نغنيها .. وننصهر

وموطن لا يقود الشعر رايته   تزري باعلامه الساحات والسير

★ ★ ★

يا شاعر الفوطة الفيحاء ودعني   عمري وما ودعتني الشام والذكر
قرات فيها شبابي والمنى حلم   على الجناحين .. استسقي وادخر
وانت في الهاشمي الجيل مقتطف   من البواكير عالي الغصن مزدهر
هوى الإباء فلم تجزع وصحت بنا   انا الابي ، عقالي : الطير والزجر
نسجت كوفيتي الخضراء سارية   على الاعاصير تطويني وتنتشر

★ ★ ★

وا ((فارس الحصن)) حدثني انا تعب   من المسير ! وبي خوف ، وبي خفر
نذرت ((للخضر)) نفسي وهي مؤمنة   وما انحنيت وما ضاقت بنا الحجر
سكبت ذاتك في ذاتي وعشت بها   كما يعيش على خرسانك الحجر

بيروت ـ شارع حبيب السعد ـ حي الفرنيني ـ هاتف ٢٥١٦٥٧

الياس خليل زخريا



ايليا حليم حنا

نصائح الآباء لأبنائهم

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

من احب القراءات الى نفسي قراءة وصايا الابـــاء الى ابنائهم .. وقـد شغلت طويلا بهذا الموضوع وقـرات فيه كل ما امكن ان يصل الى من كتب ومن شذرات نشرت في المجلات والصحف ، وقد تتبعت ما قاله الاباء لابنائهم من اقدم العصور حتى وقتنا هذا .. فقد حاول الانسان منذ ان عرف كيف يعبر ، حاول ان يكسب ابناءه خبراته في الحياة ، ليبداوا حياتهم بداية افضل متجنبين ما قـد عاق الاباء عن تحقيق الاهداف او عن الاستمتاع بالحياة ـ موضحين بما اكتسبوا من خبرات ـ احسن السبل واقومها الى حياة أفضل ، حياة بكسب اكبر ومعاناة اقل.

هذا النوع من الادب ـ ادب الحيـاة والخبرات ـ مارسته كل الشعوب على اختلاف اجناسها وعصورهـا وحضاراتها ، ادب قديم قدم الحياة نفسها . وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان العاطفة النبيلة عاطفة الابوة تريد لحبات القلوب ان تستمتع بالحياة افضـل ممـا استمتعت ، وان تجنبها ما اشقاها وحال دون سعادتها .. يريد الاباء للابناء حياة أكثر نجاحـا دون احزان وآلام ومعاناة وضيق وقلق ، يريدون ان يجنبوهم مزالق الحياة ويحثوهم على انتهاج اقوم السبل .

لقد داب الانسان منذ اقدم العصور ان يقدم كـل خبراته لابنائه وبناته ولا يزال يفعل هذا .. انها عاطفة الابوة التي لم يغيرها الزمن ، وقـد غير الكثير على مـر العصور .

يقول (الدكتور عبد العزيز صالح) عن ادب النصيحة عند قدماء المصريين في كتابه (الشرق الادنى القديم ـ الجزء الاول) : (تكفل بالنصح والتوجيه في مصر القديمة اطراف ثلاثة : آباء مثقفون ، ومعلمون من الكهان والمدنيـين ، ثم ادباء انتحلوا لانفسهم سمات الاباء تارة وسمات المعلمين تارة سواها ، وتفاوتت المستويات الاجتماعيـة للاطراف الثلاثة ، فكان منهم وزراء جنبا الى جنب مع افراد مـن اواسط الكتاب والكهان ، ذلك مما يعني ان الحكمة لم تكن وقفا على طبقة معينة من الناس دون اخرى . وقد تلاقت سبلهم في ثلاث نواح وهي : ان اغلبهم نسب نصائحه الى خبرتـه الشخصية وتجارب أسلافه اكثر مما نسبهـا الى وحي السماء واوامر الارباب ، وان كلا منهم حـاول ان يتجاوب بتعاليمه مع الاوضاع الاجتماعية .

كانت النصائح من اهم فروع الادب الفرعوني وكانت لها منزلة كبيرة عند عامة الشعب ومثقفيه ، وقـد قدر المصري القديم النصائح تقديرا عظيما لدرجة انه جعل هذه النصائح والتعاليم آيات ترتل .

وكانت النصائح في دول الحضارات القديمـة تدور كلها حول العلاقات بين الناس القريب منهم والغريب ، وقد لا تخلو نصيحة لحكيم من حكمائهم من الحث على الاحسان بالوالدين ، ومعاملة الزوجة بالحسنى ، وادب الحديث ، والسلوك الاجتماعي السليم .

ودراسة هذه النصائح يوقفنا على الكثير من افكارهم وسلوكهم وتقاليدهم وما كان يدور في حياتهم اليوميـة ومقومات السعادة في الاسرة والحياة .. ففي أقدم كتاب في العالم كتب منذ اكثر من ٥٥٠٠ سنة ، يقدم (بتاحتب) نصائحه الى ابنه ، وقد كان الرجل من العمر ١١٠ سنوات ، وقد ترجمت هذه النصائح إلى عدة لغـات ، ولفائدتهـا العظيمة قررها الانجليز في برامج الدراسة للاطفـــال في بلادهم . يحدث (بتاح حتب) ابنه عن مقومات السعادة في الاسرة والحياة ، فيقول :

اذا اصبحت كفئا ، كون اسرتك واحبب زوجتك ، وعاملها بما تستحق كشريكة حياة فعلية .. اسعدهـا

تسعدك . لا تتهمها عن سوء ظن .. ان نفرت راقبها واستمل قلبها بعطاياك تستقر في دارك .. يكيدها ان تعاشرها ضرة في دارها . احذر مخالطة النساء الغريبات .. كم من امرىء ضل عن رشاده حين استهواه جسم براق . اذا دخلت بيت غيرك فاحذر من ان توجه ذهنك الى ضرر نسائه .. واعلم ان بيت الزاني مآله للخراب .

اذا عاشرت قوما فاجذب قلوبهم اليك . كن بشوشا ما دمت حيا .

اذا فاه اخوك بالشر فانصحه لتكون خيرا منه .. لا تتطرف في الكلام ولا تصغ الى الوقاحة ، لانها صادرة عن التهيج والغيظ ، واذا تطرف احد امامك في الكلام فاطرق راسك الى الارض لترشده بذلك الى طريق الحكمة والتعقل .. من زرع الشقاق بين الناس عاش حزينا ولا يصحبه احد .

لا تخبر احدا بما صرح لك به غيرك لئلا يبغضك الناس . احذر تحريف الحقيقة بين الناس لئلا تزرع الشقاق بينهم .

لا تحتقر فقيرا ، واذا زارك فلا تتركه بغير حفاوة لئلا تخجله ، لا تغضبه ولا تحتقر رايه فان هذا ليس من شيم الكرام .. عندما يواتيك الثراء ينبغي ان يستمتع القلب، فلن يجدي الثراء اذا اهمل القلب والمحتاج .. تذكر ان جميع ما يصل اليك من مال سينتقل منك الى غيرك ولا يبقى لك فيه الا الذكر ان حسنا او سيئا . لا تخن من ائتمنك لتزداد شرفا ويعمر بيتك ..

لا تترك التحلي بحلية العلم ودماثة الاخلاق .. لا تعجب بعلمك لان العلم بحر لا يصل الى اخره اي متبحر مهما خاض فيه وسبح . واعلم ان الحكمة اغلى من الزمرد، لان الزمرد تجده الفعلة في الصخور بخلاف الحكمة فانها نادرة الوجود .

اذا كنت قاضيا فكن لين الجانب مع المتقاضين ، ولا تجعل احدهم يتردد في كلامه ولا تنهره ، دعه يتكلم

بحرية كي يعبر عن مظلمته بصراحة تامة ، ان حسن الاصغاء افضل طريقة للكشف عن الحقيقة . اذا حكمت بين الناس فاسلك طريق العدل ولا تتحيز لفريق دون اخر ..

لا تستبد لئد تضل . لا توقع الفزع في قلوب البشر لئلا يضربك الله بعصا انتقامه ..

ليكن امرك ونهيك لحسن الادارة ، لا لاظهار الرياسة والامارة . اجتهد دائما في عملك ، ولا تترك فرصة اليوم للغد ، فمن جد وجد .

رب ابنك حسبما يرضى الله .. واذا شب على مثالك وجد في عمله ، احسن معاملته واعتن به ، اما اذا طاش وساء سلوكه فهذب اخلاقه وابعده عن الاشرار لئلا يستخف بأمرك) .

يتضح لنا من هذه الرصايا ان الاهداف العليا للحياة الانسانية التي تركتها دول الحضارات القديمة في نصائحها وقوانينها تكاد تكون ثابتة وان القانون الاخلاقي والقيم الانسانية شيء موجود في الانسان منذ ان انسلخ من همجيته واصبح يعيش في مجتمع .. اكاد اقول ان صورة الخير والشر لم تتغير ، لم تغيرها الحضارات المتعاقبة ، قد تختلف المقاييس قليلا تبعا لروح العصر ، ولكن جوهرها لا يختلف وان اختلفت طرق التطبيق .

والنصائح مرآة العصر الذي قيلت فيه ، وهي بالاضافة الى ما توقفنا عليه من تقاليد الناس وتفكيرهم ومعتقداتهم وقيمهم ومثلهم العليا ، والحياة الفضلى في تصورهم ، وفن الحياة كما يجب ان يكون ، فانها توقفنا على الشيء الكثير مما تفشى في عصر الناصح من مساوىء وضعفات ونقائص . عندما يوصي اب ابنه بفعل شيء وينهاه عن فعل شيء اخر فانه يفعل هذا لانه يرى اعوجاجا فاشيا في الناس او انه يراه في نفسه ايضا ، ويريد ان يخلص ابنه او شباب عصره منه .. لتستقيم حياته وتكون اكثر فاعلية ونجاحا .. فكثيرا ما تكون الوصايا انتقادا لسلوك الناس وتصرفاتهم ورؤى افضل لتصرفات افضل من اجل حياة اكمل واجمل .

والنصائح تقدر بما تنطوي عليه من المبادىء الاخلاقية وما تقرره من واجبات انسانية تتخذ اساسا للحياة .. انها تهدف الى خدمة الحياة وبيان ما عساه أن يكون فيها من نقص او انحراف ... ولكن هناك نصائح تتسم بالواقعية الصارخة التي لا يدخل الناصح بها ، المثل العليا في حسابه .. انه يلقي بتجاربه كما هي ، يرسم الحياة بواقعها وكما يراها ويغفل الرؤيا المثالية .. ومن هذا النوع ما كتبه الاديب التركي (جناب شهاب الدين) في خطاباته الى ولده ، فهو يقول له ـ مثلا ـ اضرب اذا استطعت الى الضرب سبيلا ، والا امضغ سكوتك بين اسنانك التي تصر .. العدل عندي ما دامت القوة لي .. كنت اظن ان الافكار الطيبة والامور المنطقية تدخل عن طريق القلب والعقل ، ولكن الافكار لا تشق طريقها دائما من الاذن ، فهناك من الافكار ما يدخل في الولائم من الفم، وفي البنوك من الجيب .. لقد كنت في صباي وشبابي اقول الحق ولا ابالي بالنتائج فوجدت أن اكثر الذين قالوا الحق اشتهروا بالجنون .

هذه النصائح عارية من كل ما يغلفها من مثل طيبة ، نأى فيها صاحبها عن محاولة الارتفاع بابنه عن الواقع القبيح الى ما هو احسن وافضل من اجل حياة انظف واجمل .. لقد اراد ان يكون واقعيا ولم يرد ان يكون مبشرا بما هو افضل .. او فيلسوفا يتطلع الى ما هو

ارقى من الواقع بترك ما ينغص الحياة ويشقينا فيها وتغيير الوجه القبيح لدنيانا ..!

والنصيحة لا تكون نصيحة حقا اذا دعت الى التشبث بالواقع غير المتطور او الاستمرار في السلبيات المعوقة او التصرفات غير الاخلاقية .. النصيحة المجدية هي التي تدعو الى التزام خلقي كامل ، والتي تنتزعنا من الوحل الذي يغوص فيه غيرنا حتى نسهم في بناء عالم انظف وارقى .. هدف النصيحة هو محاولة تحقيق الهدف الانساني الاعلى ـ أن تنتج السعادة الفردية والاجتماعية وتعمل على انماء الحياة وتقدم الجنس الانساني .. قيمة النصيحة لا تكون الا في النهوض بعقل الشباب وافكاره والسمو بأخلاقه واثارة فكره ليلتحم بالحياة يأخذ منها ويعطيها ما هو اجمل مما يأخذه ، قيمتها في ان يرى ما هو موجود وما ينبغي ان يكون عليه هذا الموجود .

تطور الحياة وتقدمها يحتاج الى حكمة الشيوخ وتعقلهم ووجدان الشباب وتطلعه الى المستقبل .. وقد عبر (كولريدج) عن هذا بقوله : (ما اظلم هذه الدنيا ، واشد كآبتها اذا خلت من الشباب ، وما آلمها واشد حيرتها اذا خلت من الشيب) . ويقول المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعي : (الوطن احوج ما يكون الى التعاون بين شبابه وشيوخه ليتساندوا ، ويكمل بعضهم بعضا ، ويتضامنوا في الجهاد المشترك ، فالشباب في حاجة الى خبرة الشيوخ وتجاربهم وكفاحهم ، والشيوخ في حاجة الى نشاط الشباب وحماستهم وجهادهم ، ولا غنى لكل فريق عن الاخر) . ويذكر تجربته التاريخية عن هذا التضامن بقوله : (لم يذكر التاريخ حركات تحريرية او اصلاحية كانت مقصورة على الشباب وحدهم ، بل ان نجاح هذه الحركات كان قائما على التعاون بين الشباب والشيوخ فان هذا التعاون ادعى الى توحيد الكلمة والبعد عن الشطط والخطل) .

ولكن هل يأخذ الابناء بنصائح الاباء والمربين ويعملون بها ؟ هل لنصائح الاباء أثر كبير في توجيه الابناء الى الطريق الذي يراه آباؤهم نتيجة خبراتهم وتجاربهم ؟ هل تغير النصائح وجدان وتفكير وسلوك الشباب ؟ وهل تأثر الاباء انفسهم وهم في سن الشباب بما قدم لهم من نصائح ؟

قبل ان نأمل في ان يكمل ابناؤنا وجودنا ، ويجعلوا من تجاربنا اساسا للمضي في طريق حياة ارقى وافضل ، علينا ان نعدهم لهذا ... ان نبني شخصيتهم بناء شاملا متكاملا .. ان نعدهم لحياة اسمى ومستقبل افضل .. ان نربيهم على تقديس الحق وتحقير الباطل . وتقدير الجمال المعنوي . ان نغرس فيهم فضيلة العطاء وان نسمو بغرائزهم وعواطفهم ، وان نجعل من نفوسنا قدوة صالحة لهم . وان نكتشف ميولهم ومواهبهم ونتعهدها بالرعاية والصقل .. وان نعودهم على ان ينهلوا من كل منابع الثقافة وينفتحوا على الدنيا كلها .. فانه بدون هذه الثقافة ينغلق الشاب على نفسه ولا يفهم عالمه المتجدد المتطور ... وبدون هذه الثقافة ايضا لا يستطيع الاباء انفسهم ان يعاصروا ابناءهم . فالثقافة الحية المتجددة هي التي تجعل التقاء الاباء والابناء ممكنا .. الثقافة هي التي تمكن الجيل السابق من ان يدرك ان امسه كان تطورا لامس الاول ، وتمكن الخلف من ان يحكم بادراك وفهم على تجارب السلف ويأخذ منها ما يراه اساسا صحيحا وسليما لتطوره .. والمثقف الواعي له من القدرة ما يمكنه من ان يلاحق التغيير ويسبقه ويؤثر فيه .. والثقافة ـ التي اقصدها ـ ملء ونمو ومعاصرة .. وهي صانعة الذهن المتفتح والعقل الناضج والقلب المفتوح العامر بأرقى المشاعر الانسانية ..

بدون هذه الثقافة المتفتحة الناضجة المثمرة لا يمكن تربية الوجدان الانساني الحضاري .

ويخطىء الاباء عندما يجهلون او يتجاهلون نفسية الشباب وتفكيره في المرحلة التي يمر بها .. ولا يمكن ان يلتقي الاباء مع الابناء الا اذا دخلوا عالمهم وعرفوا ما فيه من خيال ومثالية وتطلعات وقدرات ومواهب ، ونشاط وجداني هادر .. كثيرا ما يتجاهل الابوان ميل الابن .. يريدان له شيئا لا يميل اليه ولا يريد ان يكون عمل حياته .. انهما يريان له الطريق الافضل في نظرهما ، وهو يريد طريق ميله .. يجد نفسه في شيء لا يقرانه عليه ، له تيار يسبح فيه ، وهما يريان له ان يسبح عكس هذا التيار .. ويكون هذا مصدر الصدام .. عندما نتجاهل عالم الشباب وعواطفه وميوله وخصائص مرحلة تكوينه نبعده عنا ولا ننتظر ان يأخذ بوصايانا . يجب ان نفهم الخصائص النفسية للشباب وميوله ومواهبه حتى نستطيع ان نعينه ونغذي ما فيه من بذور طيبة ، نعينه على ان تنبت وتنمو وتصقل وعندئذ نجد انه يقترب منا ولا يبتعد.

يجب ان ننمي كل ما في الشباب من قدرات طيبة ، وقبل النصيحة يجب ان يكون الحب والتفاهم وان تختفي لغة الاوامر والنواهي وان تقوم علاقة الصداقة بين الاباء والابناء .. ولا بد من الحوار الذي يتطور مع النمو الجسمي والعقلي ومراحل الدراسة .. يجب ان تتسع صدور الاباء لمناقشات الابناء والا يضيقوا بميولهم ورغباتهم .. والا يسخفوا آراءهم .. كيف يأخذ الابن بنصيحة ابيه وهو لا يسمع له ويسخف رأيه ويستخف بميله ويضيق صدره بأحلامه وتطلعاته بحجة انها هراء لا صبر له ، ولا وقت عنده ، يضيعه في هذه الترهات ؟!

لا بد من الحوار والنقاش ولا بد من اقناع الشباب اقناعا يملأ كل فكره ومشاعره حتى يلتقي بنا .. لا بد ان يتخذ الاب من واقع الحياة واحداثها التي تقع تحت بصر الابن وحسه ، اساسا للحوار والاقناع وبهذا يجعله اكثر تقبلا للنصائح التي يقتنع بها .. نصائح الاباء يجب ان تتحول الى جرعات منطقية تنمي الوعي والادراك .. هذه النصائح التي نحولها الى تجارب محسوسة مدركة كلما اتيحت لنا الفرصة تجعل الناشىء اكثر تفهما لكثير من

الحقائق في شؤون الحياة ، وتغرس فيه العادات الفكرية والاجتماعية السليمة وتمكنه من الانطلاق في حياته على اسس سليمة مغروسة في اعماقه ، راسخة في عاداته وافكاره وذوقه وسلوكه .

كثيراً ما لا يعير الشباب نصائح الاباء اي التفات لانها لا تستند على الحوار والاقناع والاقتناع ولا تصل الى عقولهم وقلوبهم .. كما وقد يكون السبب انه فقد الثقة فينا ونحن نطلب منه ما لا يجده عندنا .. والنصيحة لا تمتد الى الاعماق الا بالقدوة . النصيحة لا تغرس فضيلة ولا تزيل رذيلة .. فقد ينصح الاباء بشيء ولا يعملون بما ينصحون به ، لانهم اعتادوا على ما ترسب وثبت وسيطر على نفوسهم ، ويتعذر عليهم التخلص منه ، ولكنهم يؤمنون بضرره او عدم جدواه ، ويريدون أن يجنبوا ابناءهم هذا الضرر .. وعندئذ يرى الابن ان الاب يوصي بشيء ولا يعمل به ، فيضرب بالنصيحة عرض الحائط .. ويعود الاباء بعد هذا يشكون عصيان الابناء ويقولون مع جون روكفلر (ابناء هذه الايام يأخذون النصيحة ثم يفعلون ما يشاءون) .. نصائح الاباء لا تجدي ان لم يكونوا هم قدوة فيما ينصحون به ومثلا يحتذى .

وقد يرى الشاب في نصائح الاباء ما يحد من مسيرته الاندفاعية ويراها معوقة .. انه يريد ان يسلك طريقه ويتذوق الحياة بنفسه ، لا ان تصب له في عقله ووجدانه .. يرفض ولا يستمرىء ان ياخذ خبرات الاباء في اقراص يبلعها ولا يتذوق طعمها .. ونحن الكبار – ايضا – فعلنا هذا مع آبائنا . انه يفكر في المبادىء ويزنها على ضوء مثاليته المطلقة .. عالمه جديد له طلاوته وحلاوته ، يتطلع الى تحقيق ذاته ومثله وتطلعاته متمردا على كل ما يعترض طريقه ..

انه مما لا جدال فيه ان تجارب الغير لا تغني كثيرا عن ان يجرب الانسان بنفسه ، كأنه قد كتب علينا ان نشقى ونقلق ونتألم ونفشل وننجح ونحن نشق طريق الحياة لانفسنا ، نحب ان نسير فيه بقدمينا ونرى بعينينا، ونلمس بيدينا ، اكثر مما نسمع من غيرنا . ان ما للشباب من قوة وحيوية وشعور حي وعاطفة ملتهبة وخيال واسع نشاط مندفع ، يجعله يرى انه في استطاعته ان يغير كل ما لا يتمشى مع مثله وتطلعاته وخياله ، انه ينطلق بدون رصيد من التجارب التي تعوقه او تخفف من ثورته وتحد من خياله .. انه حديث العهد بالحياة ودروبها المختلفة ، وله آماله وتطلعاته وخياله وثورته وقوته ، ماضيه قصير ضئيل والمستقبل ممتد امامه .

والشاب في فترة التكوين يعشق البطولة التي تتحدث عنها سير العظماء ، والقمم في مجالات الحياة المختلفة ، يعجب بما انجزوا ، وبالطريقة البطولية التي شقوا بها طريقهم الى المجد ، ويراهم اناسا يختلفون عن باقي الناس الذين يخالطهم ويقف على ضعفاتهم ، ولا يجد فيهم ما يجذبه الى الاقتداء بهم وجعلهم نماذج تهدي خطاه وتلهب مشاعره . يرى من حوله اناسا لا يحلمون ، يرضون من الحياة بما يبقي على الحياة .. حياتهم يوم واحد ممل يتكرر برتابة .. يقبعون عند سفح الحياة ولا يحلقون الى القمم .. عالمهم بارد لا دفء فيه ، ووقع حياتهم بطيء ممل .. عالم فاتر لا سحر فيه ولا جمال ولا آمال تهز وجدانه وتثير مشاعره وترضي تطلعاته .. وهو لهذا ينصرف عن عالمهم الى عالمه عالم القدرة والحيوية والقوة والامال والانتصار .. عالم الابطال .. عالم العلماء والفلاسفة والمفكرين والادباء والفنانين والزعماء وغيرهم ، وبهؤلاء يتأثر اكثر مما يتأثر بحياة وافكار ونصائح والديه.

وتمر الايام وتهدأ ثورة الشباب وتكون دنياه قد علمته اشياء تجعله اكثر واقعية واعتدالا .. وعندئذ يكون مؤهلا ان يختبر دنياه بمقاييس أكثر نضجا ، تمكنه من ان يضع تجارب ونصائح الاباء تحت مجهره يتأملها بتدقيق، يجعلها ركيزة قابلة للتعديل والتحويل والتجديد والاضافة والابتكار .. يعدل فيها ويطورها بما يثبت العلم والمعاصرة والتجربة صحته وضرورته . بالتمعن في تجارب السلف ووضعها اساسا للتجارب المتقدمة يوفر الشباب كثيرا من الجهد الزائد والزمن الاطول في تحقيق ما يهدفون اليه .. ليس من صالح الجيل الجديد ان يهدم بل من واجبه ان يراجع ويعيد الصياغة ، فقد لا يكون ما يرونه من خلل ، في الاسس الثابتة ، بل في التطبيق بأساليب وافكار قديمة كان الجيل السابق لا يعرف غيرها .

تجارب الاباء ونصائحهم زاد لا يجوز تجاهله .. يجب مراجعة هذه التجارب وجعلها اساسا لكل تجربة مماثلة تعترض حياة الشاب ، يتأمل تصرفاته ومشاكله على ضوئها ، ويعرف ما يجب ان يفعله وما لا يجب . يأخذ منها ما يدفعه ويدفع مجتمعه الى التقدم وما يوفر حياة افضل .. لا بد ان يكمل الشباب العمل والانتاج ويضيف الى تراث السلف ما لم يمكنهم عصرهم من تطويره .. وعلى الشاب ان يلفظ كل نصيحة تهدف الى التشبث بما لا يتمشى مع عالمه المتجدد المتطور فان التزام الطريق الواحد هو انسياق قطيع .. ولا احد ينكر حق الشباب في التجديد والارتفاع بالبناء ، فلو ان الخلف لم يطور حياة السلف لتوقفت دنيانا حيث كانت وعشنا في بدائيتنا الاولى حتى الان .

وواجب الشيوخ ان يفرقوا بين الجمود والاصالة ، وعليهم ان يعاصروا الابناء ويفهموا ما يواجههم من تحديات العصر ، فالارتباط بالماضي وحده والتعصب له عزلة عن المنطق والحياة والحضارة ، وينتج عن جفاف في الفكر والنفس .. عليهم ان يضعوا حقائقهم امام الشباب ويعمدوا الى اسلوب الحوار والاقناع . اننا في جميع مراحل

ميراث الحب

لما لقيتك شعت شمس اسعادي … كانك الماء فيه الري للصادي

وعانقتني الدنى في فيض بهجتها … كما تعانق اوراد لاوراد

فجرت ينبوع احساسي وعاطفتي … وما حلا بسوى نجواك انشادي

مضى كلمحة طيف في الكرى عمري … وحين شمتك اضحى يوم ميلادي

والناس تستقبل الاعياد في فرح … ورؤيتي لفتاتي خير اعيادي

ودوحة الحب في الدنيا افيء لها … كيما اغني غناء البلبل الشادي

وارسم الناس والاكوان في صور … مشحونة بمعان ذات ابعاد

فالحب يخلق ابداعا وتجربة … في شاعر لذوات الحسن منقاد

وزادي الحب مهما امتد بي عمري … وهل يظل امرؤ حيا بلا زاد

حدوت للحب مشغوفا بفاتنتي … وليس غيري لاهل العشق من حاد

والحب عندي تراتيل اردها … ترديد شحرورة في سرحة الوادي

صدقت في الحب واستعذبت لوعته … وقد اقمت عليه صرح امجادي

اذا احب فؤادي الصب غانية … يغدو لها كسجين بين اصفاد

رتلت للحب كالاطيار اغنيتي … في كل فرع بظل الروض مياد

سموت بالحب عن اوشاب موجدة … والحب يسمو بارواح واجساد

وخمرة الحب من امسى يعاقرها … سمت به فوق اضغان واحقاد

من مات حبا فان الحب يمنحه … ذكرا به يتغنى الرائح الغادي

ومن فدى نفسه للحب لاح لنا … ككوكب في سماء الحب وقاد

والناس ان ورثوا اولادهم ذهبا … فقد غدا الحب ميراثي لاولادي

بغداد

خضر عباس الصالحي

حياتنا في حاجة الى فكر متكامل متميز وهذا الفكر لا يكون الا بجدل وصراع فكري خلاق ، لا بد من الحوار والنقاش لتعميق الاسس الصحيحة ولاثراء التجارب السليمة وتصفية رواسب الفكر المتخلف .

الشباب هم اصحاب الغد ، وعالمهم عالم سريع التحرك ، ولا يمكن لجيل سابق ان يقرر وحده مصير الجيل الجديد بأفكار قديمة وعادات فكرية وسلوكية قديمة .. تجارب الكبار ونصائحهم تكون معوقة ان تشبثت باسلوب حياة قديم حاربه مصلحون وغيروه ، او اثبتت التغييرات العلمية ضرره او عدم جدواه ، وتتضح الرؤية وتنضبط المقاييس بالحوار المتبادل والدراسة المشتركة بين الجيلين.

نصائح الاباء وتجاربهم حصيلة اكثر الناس اخلاصا لنا ، تمتاز بالموضوعية والصدق ، هدفها تأصيل القيم السليمة ذات الجوهر الانساني الاصيل والكشف للابناء حديثي العهد بالحياة عن موضع الخطأ والصواب وتجنبهم الحفر والمطبات التي ترددوا او كادوا ان يترددوا فيها ، واقصر السبل الى النجاح واكمال البناء الحضاري على أساس متين راسخ .. انها ثروة قيمة تمكن الابناء ان يبدأوا من نقطة متقدمة عن نقطة البداية التي بدأ منها الاباء .

القاهرة

ايليا حليم حنا

الشاعر عزيز أباظه

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *

— ١ —

ما زلت اذكره : فارع الطول ابيض الوجه ، مشربا بحمرة الشباب على وجهه ابتسامة دائمة ، تحمل معنى الاطمئنان والثقة والامل وفي ايام المحن كانت هذه الابتسامة تعلوها مسحة التفكير العميق ، والتصدي للاحداث ، والتحدي للخطوب .

كنت في اسيوط ابان عام ١٩٤٦ ، وكنا نعقد الندوات الثقافية بجمعية الشبان المسلمين فيها ، وكان مدير محافظة اسيوط هو الشاعر الكبير عزيز اباظة ، وكان يحضر بنفسه ندواتنا ويشارك فيها بالراي والتوجيه والحوار ، وما كان احد من حكام الاقاليم الكبار يفعل ذلك ولا يتصوره في يوم من الايام .

وفي مطبعة مصر ، وكان عزيز اباظه (باشا) رئيسا لادارتها كنت ازوره في مكتبه فيها ، فأشعر بان الاباظي عزيز باشا خلق شاعرا قبل ان يكون اي شيء اخر ، وفي منزله في الزمالك ، وفي فندق عمر الخيام في اول هذه الضاحية الجميلة قابلته مرات ومرات ، حيث كنت اجد فيه روح الشاعر الانسان قبل ان المس منه روح الرجل العظيم ، الذي يحمل على كاهله اعباء المجد والشاعرية والشعراء .

ودعوناه ليحاضر في رابطة الادب الحديث ، فيامسية من امسيات الثلاثاء ، فلبى الدعوة ، وحضر وجلس طويلا يتحدث ويطيل الحديث ، ويدور الحوار حول المسرح الشعري بين امسه وحاضره ، وهو لا يمل الجلسة ابدا .

عزيز اباظة الرجل الانسان، والشاعر المحلق والاديب الكبير .. شخصية فريدة من تاريخنا الادبي المعاصر وقل ان يجود بمثلها الزمان .

بالامس كنت اقرا كتاب « ابي عزيز اباظة » تأليف ابنته عفاف عزيز اباظة ، فراعني بساطة اسلوبه ، وروعة ما احتوى عليه من صدق ودقة في تحليل شخصية الرجل وعرض سيرته عرضا جميلا جذابا مؤثرا .

وما اجدر عزيز اباظه بان تخرج عنه مئات الدراسات فعبقرية هذا الرجل وشاعريته لا يفي بحقهما قلم ، ولا يجحد عظمتهما انسان .

— ٢ —

ولد عزيز اباظة في قرية « الربعماية » بالشرقية في ١٣ من اغسطس عام ١٨٩٨ م ، وتلقى ثقافته الاولى في القرية ، ثم في مدارس الشرقية والقاهرة ، وظهرت موهبته في الادب والشعر منذ صغره ، وعكف على كتب التراث يتزود منها بقسط موفور من الثقافة الادبية .

وشاهد حركة مصطفى كامل ، وثورة ١٩١٩ التي تزعمها سعد زغلول ، وشاهد كل الاحداث التي مر بها وطنه في القرن العشرين حتى وفاته .

وفي عام ١٩٣٦ انتخب عضوا في مجلس النواب ، وبعد قليل اختير مديرا للقليوبية ، فللمنيا ، وبورسعيد ، واسيوط .. ثم لم يلبث ان انتخب مرة اخرى لمجلس النواب ، فمجلس الشيوخ ، ثم اختير رئيسا لادارة مطبعة مصر ، فعضوا في كثير من الشركات والمؤسسات ، ومقررا للجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب .

وظل كذلك يجوب البلاد ، ويقوم بالرحلات الى الخارج ، حتى استأثرت به رحمة الله في الحادي عشر من شهر يوليو عام ١٩٧٣ ، فخسرت مصر وخسر العالم العربي وخسرت دولة القريض علما من اكبر اعلامها ، وشاعرا من اعظم الشعراء ، الذين دعموا نهضة الشعر والادب واسدوا للحركة الشعرية المعاصرة كل ما تعتز به من ازدهار وشموخ وجلال .

— ٣ —

خلف عزيز اباظة خمسة دواوين شعرية هي :

١ — انات حائرة .
٢ — من الشرق والغرب
٣ — تسابيح قلب .
٤ — في موكب الحياة .
٥ — في موكب الخالدين .

وترك عشر مسرحيات شعرية ، هي :

١ — قيس ولبنى ، وقد نظمها في المنيا عام ١٩٤٢ وكان شوقي قد كلفه بكتابتها قبل وفاته ، وقد قدم لها الاستاذ عباس محمود العقاد وقد مثلت لاول مرة على مسرح الاوبرا عام ١٩٤٣ .

٢ — العباسة ، وقد قدم لها محمد حسين هيكل ، ومثلت لاول مرة على مسرح الاوبرا في القاهرة في ٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ .

٣ — مسرحية الناصر ، وقد قدم لها الاستاذ احمد حسن الزيات .

٤ – مسرحية شجرة الدر ، وقد مثلت في مسرح الاوبرا في نوفمبر عام ١٩٤٧ .

٥ – غروب الاندلس ، وقد قدم لها د. طه حسين ومثلت لاول مرة على مسرح الاوبرا في القاهرة في ١٥ من نوفمبر ١٩٥٢ .

٦ – شهريار ، وقد قدم لها عزيز اباظة نفسه ، ومثلت لاول مرة على مسرح دار الاوبرا في ٣ من نوفمبر عام ١٩٥٥ وقد عاونه في اعداد هذه المسرحية عبد الله البشير .

٧ – اوراق الخريف ، كتبها عام ١٩٥٧ .

٨ – قافلة النور ، نظمها عام ١٩٥٨ .

٩ – مسرحية قيصر ، نظمها عام ١٩٦٣ .

١٠ – مسرحية زهرة ، وقد كتبها عام ١٩٦٨ .

ولم تمثل هذه المسرحيات الاربع الاخيرة .

وقد درس د. عبد المحسن عاطف سلام المسرح الشعري عند شاعرنا الكبير في كتابه « مسرحيات عزيز اباظة » وللاباظي ملحمة شعرية في السيرة النبوية بعنوان « من اشراقات السيرة الذاتية » نشرت عام ١٩٧١ م .

– ٤ –

والمسرح الشعري عند عزيز اباظة مسرح جد غني بالشاعرية والموهبة والصراع والحوار الشعري الجميل .

وفي مسرحيات اباظة الست الاول يتناول الشاعر احداثا تاريخية ، وكذلك يتجه الى التاريخ في مسرحيتيه « قافلة النور » و « قيصر » .

اما مسرحيتاه الاخريان : اوراق الخريف ، وزهرة فيتجه فيهما الى الموضوعات الاجتماعية المعاصرة ، وان كان قد تأثر في مسرحية « زهرة » بمسرحية للشاعر المسرحي الاغريقي القديم يوربيدس ، كانت بطلتها هي قدرة ، التي كتب عنها ايضا الشاعر الروماني الفيلسوف سنكا ، والشاعر الفرنسي راسين .

وفي المسرحيتين الاجتماعيتين بسط شاعرنا الكبير عزيز اباظة لغته حتى صارت اقرب الى اللغة اليومية ، دون ان يتخلى عن فصاحة لغته وجمالها .

والمسرح الشعري عندعزيز اباظة حافل وغني بالحوار والصراع وبالشخصيات المسرحية .. ويدافع عزيز اباظة عن اتخاذ الشعر لغة للمسرح في العصر الحديث ، بينما يعارض الدكتور طه حسين ذلك .

وحين يرى طه حسين ان التمثيل شب عن طوق الشعر وتمرد على اوزانه وقوافيه – (ص ٦٤٧ مسرح الشعر ج ١ عزيز اباظة) ، يرى الشاعر الاباظي ان الشعر انسب للغة الحوار على المسرح من النثر (ص ٨١٥ مسرح الشعر – اباظة – المجلد الاول) .

ولقد كان ارسطو يعتبر المسرحية قسما من اقسام الشعر ويرى أن المأساة ارقى انواع التعبير الشعري ، فهي ارقى صور الشعر جميعها .

والمسرحيات الاغريقية والرومانية القديمة كانت كلها شعرا ، من مثل مسرحيات : اسخيلوس ، وسوفوكلس يوربيدس ، ارستوفان ، مناندر ، سنكا ، بلوتس .

وفي عصر النهضة وازدهار الكلاسيكية في العصر الكلاسيكي ظلت المسرحية تكتب شعرا ، كما نراه عند امثال : شكسبير ، كورني ، راسين واضرابهم .

وفي عصر تيار الرومانسية ، وتيار الواقعية كتب المسرحيون مسرحياتهم نثرا ، مخالفين بذلك الاصول الكلاسيكية .

وان كان بعض الكتاب المسرحيين ظلوا يكتبون مسرحياتهم شعرا ، من مثل اليوت في امريكا ، كريستوفر فراي في انجلترا ، واندرسون في امريكا ايضا ، ولوركا في اسبانيا ، ييتس في ايرلندا .

ويقول سومرست موم : ان المسرحية النثرية التي وقفت عليها حياتي كلها سوف تموت عما قريب . وقد بدا الجمهور المثقف يعي المسرحية الشعرية ويفتح صدره وذراعيه لها . وقد نقلت مسرحيات الغرب الى العربية شعرا ونثرا .

والمسرح الشعري بداه احمد شوقي امير الشعراء بمسرحياته الخوالد ، من امثال : كليوباترا ، مجنون ليلى ، عنترة ، وغيرها .

وقد خلف عزيز اباظة امير الشعراء احمد شوقي في امارة المسرح الشعري ، بما قدم من اعمال مسرحية خالدة على امتداد الايام ، وحمل لواء الشعر المسرحي بعد شوقي سنوات طوالا تبلغ الاربعين .

– ٥ –

وفي الشعر الغنائي يعد الشاعر الكبير عزيز اباظة من رواد الشعر الكلاسيكي الكبار ، ومن اعلام نهضته بعد شوقي رحمهما الله .

ويقول العقاد عنه : عزيز اباظة شاعر من شعراء الطبقة الاولى فياللسان العربي ، ومؤلف من مؤلفي القصص التمثيلي المعدودين في هذا الزمان (ص ٢١ المجلد الاول من مسرح الشعر لعزيز اباظة) .

وشهرة ديوان اباظة « انات حائرة » في الشعر الحديث شهرة فائقة ، فقد وقفه على رثاء زوجته التي توفيت في التاسع عشر من يونيو عام ١٩٤٢ ، وضمنه احر العواطف وانبلها واسماها .

يحل يوم ميلاد الشاعر ، فيذكر رفيقة حياته التي ودعت الحياة ، ويقول :

اقول والقلب في اضلاعه شرق ... بالدمع لا عدت لي يا يوم ميلادي

ويقول من قصيدته « من اطياف الماضي » التي نظمها بعد وفاتها بنحو شهرين :

طوفت بالبيت الحزين مسلما ... فبكى واوشك ان يرد سلامي

وجعلت اساله فلو ملك البكـا   واسطاعـه لبكى بدمع هـامي
اعرفتني يـا دار ام انكرتـني   تهـب الاسى والبـث والالام
يا دار قـد مال الزمان بانسنـا   وهـوى بموثق شملنـا الملتـام
يا اخـت امـال الصبا وفراحـه   والضاحك النشوان من احـلامي
ان تبعدي فانا المقيم بـلاعجي   ومـودتي حتى يحـين حمامي
ويقال لي : اصبر ، ما لذلك حيلة   والنـار بـين ترائبي وعظـامي

وقصيدته « ليلة وليلة » لا نظير لها في الشعر العربي وقد نظمها الشاعر في الذكرى الاولى لوفاة زوجه ، وفيها يقـول :

يا ليلة جمعتنا بعد طـول نـوى   ذكراك هاجت لنا الاشجان ألوانـا
ذكرت ما كان من عرس جلوت بـه   علي اكرم خلـق الله انسانـا
بيضاء هيفـاء تحكي الصبح مؤتلقا   والروض متسقـا ، والبان ريانا
بتنا تضيء ظـلام الليل بسمتنـا   وتستشـي شجـون الليل نجوانـا
قالت وقلت ، فلم نفـرغ مقالتنـا   الى الصباح ، ولم تهدأ شكاوانـا
وحولنا الليـل يطـوي في غلائلـه   وتحت اعطافـه نشوى ونشوانـا
ونحسب الكون عش اثنين يجمعنا   والماء صهبـاء والانسام الحانـا
لم نعتنق وذهـول العرس يغمرنـا   وكم تعانـق روحانـا ولبانـا
ثم انتشينا ومـا زال القليل لظى   والوجد محتدما ، والشوق ظمآنا

اما روائعه في الوطنية والقومية فكثيرة لا تحصى ، ومنها قصائده : وحي الجلاء ـ حريق القاهرة ـ من وحي النكسة ـ ام كلثوم الى الشباب ـ ذكريات المقرن ـ روما وشوق ـ اشواق ـ ليلة في زحلة ـ الاميرة تحفة .

ويطول بنا الحديث عن هذه القصائد وامثالها من قصائد الاباظي العصماوات ، واوابده الخالدات .

ولا انسى شعره الاسلامي في ملحمتـــه الخالدة : « اشراقات السيرة الزكية » التي نظم فيها السيرة النبوية شعرا .

وفي قصيدته دنيا القرآن يقول في كتاب الله الحكيم:

اناف على الفحـول فقيل : شعر   وعز على الفحول ، فقيل : سحر
تعـالى الله احكمـه كتابـــا   فليس لعاقـل ان ضـل عـذر
مطامـع حكمـة ، ومعـين هـدي   وبحـر مـج فيـــه الدر در
تحـــدى ، وهي من الـف ولام   فواصلـه ، واعجـز وهو نثر

ويقول في الازهر وهو يرثي شيخا ازهريا هو العلامة الشيخ محمد علي النجار عضو المجمع اللغوي :

منبـر في ثرى الكنانـة قـدس   تتمنى لـو قـد حوتـه الثريا
من ارتقى المصلحـون اعرق منـه   شرفـا سامقـا وعنقـا سنيـا
انه الازهـر الشريـف اجـد الا   ـه في صحنـه السنـا العربيا
في حمى الازهـر الرحيب وفي افنا   ئـه الحانيـات عشنـا مليـا
يا ابا الجامعات في الشرق والغر   ب ، ويا شيخهـا الوفور الفتيـا
كم بنيـت الافذاذ فكرا وعلمـا   عبقـري منـهم يـلي عبقريـا

وعن اقبال يقول الاباظي :

في جـلال الهـداة من انبيائـه   وسنى الخالديـن من شعرائـه
حمل الشرق مشعل الفكر في الدهـ   ـر ، وشـع الجمال في ارجائـه
ايـه اقبـال انت من لمـع اللـ   ـه على خلقـه ، ومن آلائـه

ومن حكمه في خواطره « قال صفوان » يقـــول شاعرنا الكبير :

واجعل الحـكم حكم شورى فان   البغي ادنى ألى حكومـــة فرد
ليس رايـان في الامـور كراي   واختـلاف الاراء ينجي ويهـدي
لسـت احجى رايـا من المرسل   المعصوم حتى تقول اقطع وحدي
انما تسفـر الحقائـق كالصبح   باخــذ مــن الحــوار ورد
قد سمعنا عن الطغـاة وعسـف   اوقعـوه فلم يقـف عند حـد
حكم فرد حتى وان كان عـدلا   غـير مجـد في ملتي ، غـير مجـد

ـ ٦ ـ

وشعر عزيز اباظة بموسيقاه الحلوة التي تأثر فيهـا باستاذه امير الشعراء احمد شوقي رحمه الله ، وبألفاظه الجميلة وبأسلوبه البليغ الرائع ، وبمضامينه الانسانية النبيلة في شتى اغراض الحياة ، وبكل خصائص الموهبة والملكة والمقدرة الشعرية ، حري بالحفاوة ، جدير بالاكبار والتقدير ، قمين بأن يرفع صاحبه الى ذروة المجد ، وقمة الخلود .

القاهرة   **محمد عبد المنعم خفاجي**



سعر بيع مجلة الاديب :

البلد	السعر
العراق	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٦ دراهم
دبي	٦ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٦٠٠ فلس
الاردن	٤٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
اليمن	٦ ريالات
عدن	٦٠٠ فلس
مسقط	٦٠٠ بيسه
مصر	٤٠٠ مليم
ليبيا	٦٠٠ درهم
تونس	٦٠٠ مليم
المغرب	٦ دراهم

السّـــيكارة

اذهبي ! اذهبي واغري سوايـا — ليس صدري مضافة للبغايـا
هـو للحـب هيكـل ، فتـوقي — ان تظنيـه مسرحـا للدنايـا
نفثـة منـك في الضلـوع بـلاء — كيـف لا ينبـت البلاء بلايـا ؟

حن قلبي اليـك ، لكن عقـلي — لم يسلـم زمامـه لهوايـا
جمعتنـا الاقـدار ثم افترقنـا — ان ليـلاي لم تعـد ليلايـا
كم فـراق بـه تقر عيـوني — ولقـاء يهيـج نـار اسايـا
سامني حبـك العذاب سنينـا — ثم قلت المتـاب يمحو الخطايـا

انت سم بـين الحنايـا زعـاف — كيـف تستعذب السموم الحنايا
الجراثيم عششـت في ثنايـاك — فلا مرحبـا بهـذي الثنايـا
ما انـا في هـواك اول حـب — خفـت ان يخنـق الدخان صبايا
كنت لي في الخفـاء كيدا عظيمـا — لا تظني مـرت علي الخفايـا

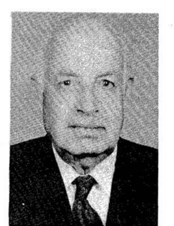
حذرتني غلـواء منـك ، ولولا — يـد حسونتي لشلـت يدايـا
نمت ـ منذ ابتعدتعنك ـ قريرا — مستريحا ، وكان نكـدا كرايـا
وتمتعت بالغـذاء ، وكانـت — طيبات الغـذاء عندي نفايـا
رب ليـل قضيتـه في سعـال — وليـال قضيتهـا في رزايـا
سؤت اصلا فخاب فيك رجائي — احمـد الله ان ذبحت رجايـا
عـاتبيني على صنيعي ، ولكـن — لا تغذي خطـاك خلف خطايـا

يا ابنة الصـين اهلـك الناس — اهلوك فهلارحمتضعف البرايا(1)
وضر انـت للقـلوب وللايـدي — وسلوى تخـفي بـذور المنايـا
يتهـاداك في المجـالس قـوم — كيف تستحسن الافاعي هدايـا ؟
نمت النـار في شفاهـك عمـا — خلفهـا من مقاصـد ونوايـا
فاتـقي الله وارفقي بقلـوب — هي في ملكـك العريض رعايـا
قيل دخن ، فما نهى عنك ديـن — قلت يكفي ان قـد نهاني نهايـا
يقظة العقل انقذتني ، وكانـت — ريحـة التبغ فزعـة للصبايـا
ويـح عشاقك المساكين !.. اني — لست ارثي الا لهـذي الضحايا

ربع قرن مضى ، وما زلت اشكو — في ضلوعي ـ مما نفثت ـ بقايـا
ولعي فيك صار كرهـا وبغضـا — سامحيني .. لقد نبشت الخبايا
حز في النفس ان اعقـك ، لكن — هل اصافي التي تسم دمايـا ؟
يا ابنة الصين قد بلوتك دهـرا — فاذهبي ، فاذهبي واغري سوايا !

(1) قيل ان الصينيين هم الذين اكتشفوا التبغ .

بوانس ايرس — زكي قنصل



محمد العدناني

محمد العدناني

١٣٢٠ ـ ١٤٠١ هـ

بقلم الدكتور عدنان الخطيب

* * *

فجعت العربية يوم الخامس من شوال سنة ١٤٠١ هـ الموافق للخامس من اب سنة ١٩٨١ م ، بأحد شعرائها المجودين الكاتب الاديب واللغوي المحقق الاستاذ محمد العدناني احد اعضاء مجمع اللغة العربية الاردني المراسلين.

كان فقيدنا الكبير من انشط معلمي اللغة العربية الغيارى على سلامتها من اللحن والرطانة ، ومن اكثر العاملين على ملاحقة الاخطاء اللغوية والنحوية التي تتسرب الى الفصحى عن طريق اقلام فريق من الادباء والكتاب ومحرري الصحف ، او عن طريق سماع اكثر مذيعي الراد او التلفاز . فكان رحمه الله يتتبع الخطأ ويتحرى الصحيح ولا يتأخر عن استفتاء اهل العلم والمعرفة كلما دق الامر او غام .

كان الفقيد يدبج المقالات المسهبة يعرض فيها الخطأ الذي التقطه ويبين صحته او ما ذكره اهل العلم حوله ، ثم يخص بها احدى مجلات الوطن العربي التي تعنى بالعربية الفصحى او بالابحاث الرصينة والفكر السليم ، وكانت مجلة « الاديب » البيروتية لصاحبها الشاعر الاديب الاستاذ البير اديب ، تليها مجلة « الضاد » الحلبية لصاحبها شاعر حلب الاستاذ عبد الله يوركي حلاق اكثر المجلات ترحيبا بمقالات الفقيد .

ومن جمع تلك المقالات ، استطاع الفقيد ان يخرج للناس معجما ضخما باسم « معجم الاخطاء الشائعة » ويوم لقي وجه ربه كان بسبيله الى اخراج عدد من المعجمات المماثلة .

موجز عن حياة الفقيد وآثاره

ولد الفقيد ـ كما ذكر هو بنفسه ـ ببلدة جنين احدى مدن فلسطين الغالية لايام بقيت من سنة ١٣٢٠ للهجرة ، وفق السادس والعشرين من شهر اذار سنة ١٩٠٣ ميلادية ، في اسرة عربية النجار تنسب الى احد افرادها ، وكان من رجالات الدولة العثمانية اسمه « خورشيد باشا الحسني » .

وفي جنين عاش الفقيد ايام طفولته ، وفيها بدأ بتلقي تعليمه الاولي . وكان والده « فريد خورشيد » من موظفي الادارة في العهد العثماني ، مما ادى به الى التنقل مع طفله محمد بين عدد من بلاد الشام ، وما انهى « محمد خورشيد » تعليمه الابتدائي ، الا بعد ان مر على مدارس كل من طول كرم وغزة ودوما ودمشق وصيداء .

اما الدراسة الثانوية ، فقد اتمها الفقيد في «مدرسة الفنون الاميركية » بمدينة صيداء ، ثم التحق بالجامعة الاميركية في بيروت بقصد دراسة الطب البشري .

كان الفقيد ، وهو يدرس الطب ، يتنفس بقرض الشعر كلما تعب من الدراسة او سنحت فرصة ارتاحت فيها نفسه او جاشت وسمع مرة ان امير الشعراء احمد شوقي يزور لبنان فسعى للتقرب منه حتى اسمعه بعض نظمه ، وراقت لامير الشعراء بواكير الفتى فاستزاده ، وما كاد يسمعه معارضته لقصيدة ابن زريق البغدادي وينشده قوله فيها :

رايته عندها ، والدمع مضطرب ... الجفن يحبسه والوجد يدفعه
فخلت نفسك تدري ما الم بـه ... يـوم الفراق ، وما تبديه ادمعه
وفي المـآقي دموع لست تبصرهـا ... وفي الضلوع انين لست تسمعه

حتى وقف الشاعر العظيم تحية لنبوغ الفتى وصاح به : « هذا الشعر لك وتدرس الطب ؟! » فقال الفتى : « وما اصنع وابي يريدني طبيبا ؟ » واجاب امير الشعراء: « ادرس الادا بوتبحر باللغة يا أخي واترك الطب لغيرك والا ضعت واضعت ما أنت مؤهل له » .

ولم تنقض سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ الدراسية ، الاوكان اسم الفقيد مدرجا بين خريجي كلية الاداب بالجامعة الاميركية ، ويومها دخل محمد خورشيد ساحة النضال التي اختارها لنفسه دعما للعربية لغة الذكر الحكيم ودفاعا عن سلامتها، وسافر الى العراق ليتولى التدريس في ثانوية بغداد ودار المعلمين فيها ، ثم عاد الى فلسطين ليدرس في

كلية النجاح بنابلس في عامي ١٩٣١ – ١٩٣٣ وفي الكلية الرشيدية بالقدس حتى عام ١٩٤٢ .

ولم يستطع محمد خورشيد ، وهو داخل فلسطين والمؤامرات عليها تلفها ، ان يقصر نضاله على تعليم العربية والدفاع عنها ، مما ادى به الى السجن فالنفي بتهم سياسية مرات عديدة حتى كانت سنة ١٩٤٧ التي اعيد خلالها الى وظيفته في دائرة المعارف العامة بالقدس .

ولما كان عام النكبة سنة ١٩٤٨ غادر فقيدنا الارض التي احب أن يموت شهيدا على ترابها ، الى شرقي الاردن ثم الى دمشق فحلب يدرس العربية ويدافع عن سلامتها حتى تقاعد سنة ١٩٦٤ ، دون ان يقرب سيفه ، مختارا مدينة بيروت مقاما ، مواصلا فيها جهاده حتى سقط شهيدا في وسط المعركة (ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وعوض العربية خيرا.

* * *

حمل الفقيد اسم « محمد خورشيد » صغيرا ، وشب وهو يحمله ، ولم يلبث حتى ضاق به بعد ان عرف صراحة نسبه الهاشمي واصالة قرشيته العدنانية ، فعمل على اثبات ذلك وتغيير اسمه بالانتساب الى جده الاعلى « عدنان » ثم نظم قصيدة عننها « من محمد العدناني الى محمد خورشيد » جاء فيها :

نشأت على هوى الفصحى صبيا — ومع شعرائها خضت العبابا
فلم تر غير آي الله وردا — فراح اللب يلتهم الكتابا
وحملت اسم « خرشيد » ولما — تمت الى الاكاسرة انتسابا
لقد ظلموك ، فالدم يعربي — من الزهراء سال سنى وطابا

بدا الفقيد النظم صغيرا فلا عجب اذا ما غزر شعره وتنوعت اغراضه ، ولا عجب اذا ما رأينا الشاعر يجمع ما تفرق من شعره لينشره على الناس في عدد من الدواوين بحسب غرضه . وامامي الان عدد من دواوين الفقيد المطبوعة ، واهمها في نظري ديوان اطلق عليه اسم « ملحمة الامومة » وهو اول ديوان بالعربية خصه ناظمه بالام مشيدا بما جبلت عليه من رحمة وحنان ، وبما يدفعها اليه حنانها وحبها فلذة كبدها من ايثار وتضحيات في سبيل ان يهنأ ويسعد .

وللفقيد شعر في الغزل فيه رقة وفيه عذوبة ينمان على ما يحمله بين جوانحه من حب قوي وعاطفة متأججة كما له رثاء فيه لوعة وفيه وفاء ينمان على ما في نفسه من ود واخلاص . وللفقيد ايضا شعر وطني فيه فخر بعروبته وفيه اعتزاز ببني قومه يدلان على اصالة وكرم محتد .

وكما كان شعر الفقيد متين السبك حلو الديباجة يحاكي فيه او يعارض الفحول من شعراء العربية ، كان نثره قويا جميل الصياغة فيه سهولة وفيه دعابة تدل على حلو شمائله وحبه للفكاهة والنكتة ، وبه كتب بعض القصص والمقالات الادبية ، وبه دون سيرته الشخصية وفصولا من مذكراته السياسية .

واذا كان « معجم الاخطاء الشائعة » الذي طبع في بيروت سنة ١٩٧٣ ، اخر ما اطلعت عليه من مؤلفات الفقيد، فقد كانت مقالاته الادبية وتحقيقاته اللغوية تطلع علينا بين الفينة والفينة تزين طائفة من المجلات الادبية ، وما كاد الفقيد يشعر بأن متاعب الشيخوخة باتت تهدد حياته ، حتى ضاعف نشاطه يعمل ليل نهار على جمع ما لديه من شعر ونثر ونقد وتحقيق ، بغاية دفعه للنشر ليخرج الى الناس دواوين : لكل فن من فنون الشعر التي نظم فيها ديوان ، او معجمات : لكل نو عمن تحقيقاته اللغوية معجم، او كتبا : لكل من السياسة او القصة او السيرة كتاب .

وليس ادل على دوامة النشاط الذي لف الفقيد خلال سنواته الاخيرة ، من الاستشهاد بفقرات من الرسائل التي استمر يواصلني بها طيلة تلك السنوات ، لاطلاعي على جهوده المضنية واستمداد ما يشجعه على مواصلة هذه الجهود ، متحديا بها العلل والامراض التي كان يعاني منها، مستبطئا الاجل المحتوم ، الا ان استوفاه وسقط شهيدا في المعركة التي فرضها عليه ايمانه بالعربية واججتها محبته لبلده وبني قومه ، سقط والقلم في يده وتجارب المطبعة منثورة حول فراشه تغمده الله بواسع رحمته .

* * *

١ – في رسالة مؤرخة في السابع من ايلول ١٩٧٧ كتب الفقيد يقول :

(.. اخي النبيل انني على وشك الانتهاء من تأليف « معجم عثرات الادباء » .. ارجو ان يفوز برضاكم اكثر من توأمه « معجم الاخطاء الشائعة » لانني بذلت في تأليفه جهدا اكبر وصبرا اطول .. هل توافقون على نشر اكثر من اربعمئة ملحوظة او عشرة سجلتها على « المعجم الوسيط » القاهري ، وكتبتها بالاسلوب المهذب الرقيق الذي كتبتم به نقدكم العلمي له ..)

٢ – وكتب في رسالة مؤرخة في السادس من نيسان ١٩٧٩ قائلا :

(.. عدت ادراجي الى بيروت لانجز « معجم عثرات الادباء » .. والذي سيباشر بطبعه قريبا ، وقد يقع في نحو الف صفحة من القطع الكبير .

وفي دولة الامارات أنجزت « معجم الاسماء » ، و « الفصحى تظلم حواء » : هو مصيب وهي مصيبة ، ونائب ونائبة ، ونازل ونازلة، والقارع والقارعة، والقاضي والقاضية الخ (١) .. وارجو ان اخرج من عزلتي الادبية هذا العام) ..

٣ – وكتب في رسالة مؤرخة في السادس من حزيران

١٩٧٩ ما يلي :

(ابشرك بانني عدت الى صحتي الاولى ، وانتهيت من فترة النقه التي حددها الاساة ، وبدات ساعات عملي اليومية العشر يوميا والحمد لله .. وها انذا قد سلمت الحروف السبعة الاولى من « معجم عثرات الادباء » للناشر على ان يباشر بطبعها قبل حلول شهر تموز ان شاء الله وبدات باعادة طبع « معجم الاخطاء الشائعة » وانهيت تأليف « معجم الاسماء » وسأنصرف قريبا الى طبع اثني عشر ديوانا ارجو ان تفوز برضاك ..

لقد ارسل الي مجمع عمان المجلة ، وهو يزودني بجميع مطبوعاته ، وقد قرأت بامعان مقالك النفيس ، الذي سأفيد من مادته في معجمي « فوات المعجمين » الذي بدات بتأليفه معتمدا على عون الله سبحانه وتعالى).

وكتب في رسالة مؤرخة في التاسع عشر من تموز سنة ١٩٧٩ ما يلي :

(.. ابشرك بقرب البدء بطبع «معجم عثرات الادباء» في نحو الف صفحة من الحجم الكبير ، وقرب البدء باعادة طبع « معجم الاخطاء الشائعة » مع اضافة عشرات الاستدراكات التي اخذتها منك من مقررات مجمع اللغة العربية بالقاهرة التي تلخصها بسهولة ويسر بعد ان تفك المعقدات من بعض عباراتها ..)

٥ ـ ومما جاء في رسالة كتبها في الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٩٩ قوله :

(.. انني مدين يا اخي لك ولعدد قليل من ادباء العرب الافذاذ كشوقي ، والامير شكيب ، والرصافي ، والزهاوي ، والشبيبي ، والاخطل الصغير ، والحصري ، والنشاشيبي ، والزركلي ، وعبد الرحمن الشهبندر بتشجيعهم اياي على مواصلة النظم الذي مارسته وانا دون العاشرة ، والذي جعلني اقضي جل وقتي في عشر السنوات الاخيرة من عمري في البحث اللغوي ، لكي اضمن ـ قدر المستطاع ـ خلو شعري من الاخطاء اللغوية اولا ، وخلو مؤلفاتي النثرية منها ثانيا .

وارجو في عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ، اذا مد الله سبحانه وتعالى حبل الاجل ، ان ارسل اليك اثني عشر ديوانا مفرقة او مجتمعة ، جل قصائدها لما تنشر بعد ، مع بضعة كتب منثورة ، لانني عزمت ـ بعونه تعالى ـ ان احاول طبع معظم مؤلفاتي المخطوطة قبل الرحيل الذي اشعر انني صرت منه قاب قوسين او ادنى .

لقد سلمت مكتبة لبنان معجمي الجديد « معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة » وقد ينتهون من طبعه قبل نهاية شهر تموز المقبل ، وقد يقع في نحو الف صفحة من الحجم الكبير ، أرجو ان تفوز كلها او جلها او بعضها برضاك).

٦ ـ وجاء في رسالة مؤرخة في السادس عشر من نيسان ١٩٧٩ قوله :

(.. الحمد لله على سلامة العودة من مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ولعلني افيد من مقرراته الخالدة التي تلخصونها في مجلة مجمع دمشق باسلوب غاية في الوضوح والبيان ، وارجو ان انقل بعضها الى معجمي الرابع « معجم فوات المعجمين » الذي ارجح انه سيطبع بعد انطفاء السراج ..)

٧ ـ وكتب في رسالته المؤرخة في السادس عشر من حزيران ١٩٨٠ ما يلي :

(.. ارجو ان تكون قد تمتعت بأيام انعقاد مؤتمر اللغة العربية ذلك المؤتمر الذي تنتظره قلوبنا مثل ألبابنا، لانه يعطينا جرعة لغوية نتمتع بها عاما كاملا ، وتساعدني اليوم في زيادة مواد معجمي الثالث « فوات المعجمين » بعد ان دفعت المعجم الثاني « معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة » الى المطبعة ، التي انجزت حتى الان تنضيد الحروف العشرة الاولى والحمد لله .

انتهيت قبل قليل من تحضير قصائد مختارة من اثني عشر ديوانا لتوضع في ديوان واحد كبير قد يقع في ٨٠٠ صفحة ، وانتظر العثور على ناشر امين للبدء بطبعه ، والا طبعته على نفقتي الخاصة .

وسأحاول ان اطبع مخطوطاتي : « اللغة العربية والمراة » و « الله وانا » و « عربي في برلين » قصة واقعية و « معجم الاسماء » في الاشهر الستة الباقية من هذا العام)

٨ ـ وكتب ضمن رسالة مؤرخة في الحادي عشر من ربيع الثاني ١٣٩٨ :

(.. انني لم اعثر على كتاب الاستاذ عبد الله يوركي حلاق (٢) بعد ، ولكنني فهمت من رسالتك ، ومن هاتف اخي الاستاذ اكرم زعيتر ، ان الاخ عبد الله كتب عني شيئا حسنا ارضاك ، فطربت له وسررت به ، لانك نبيل، وذو قلب كبير ، ونفس عظيمة تحب انصاف الاخرين ، ولا يعرف الحسد اليها سبيلا ، كما نرى في هذه الايام ، وهذا هو الذي يجعل قلبي يتشبث بمحبتك التي تساوي عندي كنوز قارون ، وأنا القائل :

وما انا لولا الاصدقاء سوى فتى ... عليه الرزايا الكالحات تصول

فانيبجسمي الواهن القلب واحد ... ولكنني بالاصدقاء قبيل

١ ـ نشرت مجلة الدوحة في عددها ذي الرقم ٦٩ الصادر بشهر ايلول ١٩٨١ مقالا باسم الفقيد تحت عنوان « المعاجم تظلم المراة » ثم نشرت له في العدد ذي الرقم ٧٠ مقالا بعنوان « المراة العربية والنحاة » فيهما شيء من اللغة وكثير من الدعابة والفكاهة كما نشرت المجلة بعدئذ بعض الردود دون اشارة ما الى وفاة الكاتب وكانت قبل اكثر منشهرين على نشر المقال !

٢ ـ عقد الاستاذ عبد الله يوركي حلاق فصلا خاصا في كتابه القيم « من اعلام العرب في القومية والادب » ترجم فيه للفقيد محمد العدناني ترجمة ضافية مع تحليل دقيق لشعره القومي والاجتماعي ولمعارضاته كبار الشعراء ولغزله واخوانياته، كما وصف نثره مشيرا الى روح الدعابة والفكاهة المبثوثة فيه ـ انظر الطبعة الثالثة حلب ١٩٧٨ .

دمشق ـ مجمع اللغة العربية — عدنان الخطيب

تجارب شعرية في شعر محمّد الأسمر

بقلم الدكتور حسن عبد القادر مصطفى

* * *

يقف الشاعر محمد الاسمر بين شعراء الكلاسيكية الحديثة مستطيل القامة ، مشرف الهامة ، وقت ان كانت هـــذه المدرسة تبسط نفوذها على الساحة الادبية في مصر وغيرها من الاقطار العربية ، بعد أن حمل لواءها البارودي ، وروج لها حافظ وشوقي ، وتخطيا بها حدود مصر ، واحتـــلا مركز الصدارة ، وذاع شعرهما على الالسنة ، ورددتـــه الاندية والمحافل ، فترسم كثير من الشعـــراء خطاهما ، وتأثروا بمنهجهما الشعري ، وساروا على دربهما الفني المتمثل في جزالة الصياغة ، ومتانـــة الاسلوب ووحـــدة القافية ، واستهواء القلوب، واثارة المشاعر، وذلك بالضرب على الوتر القومي والقضايا الاجتماعية .

ولم تكن الاتجاهات الشعرية الجديدة التي بشر بها رواد الرومانسية ، او حمل لواءها زعماء مدرسة الديوان، او ساقتها رياح الغرب من المهجر الاميركي ، لم تكن هذه الاتجاهات لتشد اليها ذوي الاتجاهات الشعرية المحافظة، الذين تشربوا الثقافة العربية ، وتتلمذوا على شعرائهـــا ، وشاقهم في الشعر جمال الصياغة ، وورونـــق الاسلوب ، وروعة الموسيقى من امثال الاسمر وغيره ، ممـــن كانت ثقافتهم ثقافة عربية خالصة ، تأدبوا فيـــها على التراث العربي ، وتشربت روحهم روائع الشعر في عصوره الذهبية فنا وصياغة ، ونهجا واسلوبا .

واذا وضعنا في الحسبان ان شاعرنا نشأ واستـــوى عوده ، واكتملت اداته في فترة كان الاحتلال فيها يجثم على انفاس الامة ، ويكبل خطاها ، وينفث سمومه في اجوائها ويعيث فسادا في كل جوانبها ــ علمنا ان مقاومة التغريب، والاعتزاز بالمأثور ، والحرص على التراث كان ضربا مـــن ضروب المقاومة ضد الاستعمار ومظهراً من مظاهر العزة القومية التي كان الشعراء والكتاب يضربون على اوتارهـــا لايقاظ الهمم الغافية ، وابراء الحماسة الوانية ، واضرام الثورة على الغاصب المحتل لاقتلاعه من قلاعه ، وتحرير الوطن منه .

وقد كان هذا الاتجاه عاما لدى جمهرة كبيرة مـــن ادباء مصر وغيرها من البلدان العربية التي كانت كلها او جلها تعاني ما تعاني مصر من اوصاب وخطوب ، فاتجهوا الى التراث يستلهمون منه صور البطولة ، ويقبسون منه معالم الفداء ، ويبرزون ما فيه من مجد شامخ ، وتاريـــخ حفيل ، وما لرجالاته من أياد في شتى المجالات الفكريـــة والعسكريـة ، وفي بناء الحضارة، وتأسيس الدول، وميادين السبق والابتكار والتجريب . برز هذا واضحا في الاعمال الاسلامية لهيكل والعقاد والرافعي واحمد امين وغيرهم ، كما ظهر جليا في الشعر الاسلامي لمحرم وعبدالمطلب وحافظ وشوقي ومن لف لفهم .

ولم يكن الاسمر واضرابه بمعزل عن هذا الاتجاه ، فكان ترسمهم للتقاليد الشعرية الموروثة ، ومحافظتهم على الاطار الشعري القديم ، وسماته الفنية لونـــا من الوان المقاومة وضربا من ضروب الاعتزاز بالتراث ، والتعلق بما للاباء والجدود من مجد باق ، وتاريخ حفيل .

لقد اشار الاسمر غير مرة الى هذا الماضي الحافـــل بالامجاد على نحو ما يقول :

سلام على الماضي وان طال عهده   وسلطان قوم حاضر الباس غائبه
سلام على ميراث قـــوم مضيـــع   تلعثم مطريـه ، واخطا حاسبه (1)

واذا وضعنا في الحسبان كذلك ثقافته العربية التي اشرنا اليها ، والتي تدفقت روافدها من ينابيـــع الادب العربي عبر عصوره المختلفة ، منذ نعومة اظفاره ، وعبـــر تقلبه في قاعات الدرس على امتداد سني دراسته ، وقـــت ان كان طالبا في معهد دمياط الديني ، ومدرسة القضـــاء الشرعي ، وبعد اشتغاله بمكتبة الازهر ، واذا عرفنا انـــه كانت تشوقه دواوين القدماء ، ويحبـــب اليه النظر في المطولات الادبية ، وتستهويه النماذج الشعرية المختارة ، فينعم النظر فيها ، ويأخذ نفسه بمحاكاتها والضرب على منوالها ــ علمنا انه كان مشدوداً الى التراث بسياج متين، يجد فيه متعة روحه ، وزاد فكره ، وغذاء وجدانه . وقد ساهم هذا وذاك في اثراء حصيلته اللغويـــة والبيانيـــة ، فاصطبغ اسلوبه بالاحكام والمتانة، وجاء شعره حصاد هذه الثقافة العربية الخالصة ، وصدى هذا الاعجاب بالتراث، ومرآة لروح شاعرة ، وقلب فياض ، وطبيعة مواتية .

وقد أثنى على الاسمر كثير من ادباء عصره ، واعلام جيله ، مما نراه مبثوثا في مقدمة الديوان، ومتناثرا في بعض المقالات . غير انه ليس لنا ان نتخـــذ من ذلك وسيلة لتقديمه ، او تنصيبه اميرا للشعراء كما حاول البعض ان يفعل (2) ، لان هذا الثناء في مجموعه لا يخرج عن كونـــه مجاملات رقيقة ، صيغت في عبارات عامة ، واحكام كلية وصيغ مبهمة اراد بها اصحابها التعبير عن تقديرهم لصاحب الديوان ، وسرورهم به وهي عبارات تذكرنا بما كان يتردد

على السنة النقاد قديما من احكام عامة مما نراه مبثوثا في كتب الادب ، وان كنا لا نفتقد في بعضها صدق الراي ، وحسن التعليل مما يجعل لها قيمة نقدية في تقويم الديوان، والحكم له او عليه . ومنها ما قاله انطون الجميل : «شعر الاسمر في معظمه مزيج من الحقيقة والخيال ، يرتفع الشاعر حينا في جو القصور ، فيصور ما يجلوه له الخيال ويغوص الى اعماق النفس حينا فيروي ما يشعره به حسه، ويدرج حينا في عالم الحقائق المجردة ، فيصف شؤون الحياة كما هي جميلة او شوهاء ، سعيدة او مبتئسة ، مفترة الثغر او مقطبة الجبين ، ولما كان شاعرنا خبيرا بأساليب النظم عليما باسرار القوافي ، فان التعبير يجيئه في هذه المواقف الثلاثة طيعا ، ويلبيه مؤيدا لما يريد » (٣).

واذا كانت رياح التغيير قد عصفت بكثير من المفاهيم السائدة ، وطورت كثيرا من النظريات والفلسفات ، فان الكلاسيكية قد اهتز نفوذها، وضعف تأثيرها بتغير الظروف السياسية والاجتماعية ، وتطور المفاهيم الادبية ، وارتقاء الاذواق ، وتنوع الثقافات وازدهار الفنون والاداب ، مما جعلها مستهدفة للهجوم من انصار المدارس الحديثة التي تعد الثقافة الغربية اهم روافدها ، بدعوى انها لم تعد تواكب روح العصر ، وان جل اتباعها ليس لهم فلسفة ولا نظرية ، وان اعمالهم الشعرية ما هي الا تقليد ومحاكاة للقدامى ، او هي تعبير عن الحياة اليومية بصورة سطحية.

واذا كان الاسمر من اعمدة الكلاسيكية اسلوبا وصياغة ، فانه كان نتاج عصره في الفكر والشعور ، اذ انه كان حادي امته ، وشادي كفاحها ، ومصور آمالها وآلامها وهو وان نظم في الاغراض التقليدية الشائعة كالمدائح والمراثي ، فقد نظم في غيرها ، وكما عبر عن قضايا امته صور خلجات نفسه ، ونبض مشاعره ، وقد جاء كثير مما قال استجابة لاحاسيسه المضطرمة ، وصدى لشعوره القوي ، وتعبيرا عن خواطره المهتاجة ، وتجسيدا لهذه الخواطر ، حتى ليعد مثل هذا الشعر تعبيرا صادقا عن تجارب شعورية وجدانية مما يكسبه بعدا انسانيا لما فيه من نظرات صادقة للناس والكون والحياة .

لكن المتصفح للديوان يجده قد صنف تصنيفا وزعت فيه صفحاته الوفيرة العدد على ابواب تمثل موضوعاته المختلفة كالملكيات والسياسيات ، والشرقيات ، والسودانيات والمدرسيات ، والاخوانيات والاجتماعيات وغيرها . وتتخلل هذه الابواب مقطوعات تتفاوت طولا وقصرا ، تناول فيها بعض الاحداث العابرة ، والخواطر السانحة ، مما يعطي انطباعا بان شعر الاسمر كان تسجيلا لحياته اليومية ، وعلاقته الاجتماعية ، وان ديوانه يفتقر الى النظرية المتكاملة ، او الفلسفة الشاملة التي تجعل للشاعر وزنا فكريا ، ونظرية واضحة ، وفلسفة معلنة .

فقد كتب الاستاذ الدكتور شوقي ضيف نقدا للديوان في مقال قيم ألمح فيه ضمنا الى ان هذا الديوان لا يعدو كونه تسجيلا للحياة اليومية ، وان الشاعر يفتقر الى الفكر العميق ، والتأملات الطريفة في عصر يؤمن بالنظريات ، ولا يكتفي بالنظرة السطحية العاجلة (٤) .

وقد اراد الدكتور الناقد ان يكون حديثه عاما شاملا لكل عناصر هذه المدرسة التي يمثلها الشاعر ، فاشار الى ان المهم ليس طرافة الموضوع ولا جدته ، وانما المهم روعة التصوير ، واتساع الايحاء ، واستدل على ذلك بالشعر العباسي ، فقد نهج الشعراء فيه منهج القدماء ، الا اننا نجد فيه طرافة الفكر العباسي ، ومقدرته على التوليد والاختراع في الصورة والفكرة ، ويتجلى ذلك عندهم في وضوح الثروة العقلية والفلسفية التي ظفر بها العقل العربي آنذاك .

وعنده ان الانحياز الى الصياغة القديمة لا ينبغي ان يحول بين الشاعر والفكر العميق ، والتأملات الطريفة حتى يرى الناس في ديوانه حياتهم قد صيغت صياغة فنية دقيقة .

ويتساءل عما ينبغي ان يكون عليه الشعر . ايكون صعوبة وشيئا معقدا وعملا مركبا، ام يكون سهولة وانطلاقا وجريا مع الطبع ، ومحاولة لقول ابيات منظومة في كل موضوع يعرض ، وكل بادرة تفاجيء ؟ ويجيب عن تساؤله بقوله : انا نعيش في عصر يؤمن بالنظريات ، ولا يكتفي بالنظرة السطحية العاجلة ، بل ما يزال يتعمق اصحابه في ميادين العلم والمعرفة ، ويصبغ هذا الاتجاه التراث الانساني المعاصر اصباغا مختلفة ، ويؤكد ما ذهب اليه بقوله : وديوان الشاعر ان لم يسع به صاحبه الى نظرية او اتجاه معين ، بدا في هذا العصر انه ناقص وانه ليس الواحة التي نطمئن عندها في دنيانا .

ويكاد يجرد الديوان من كل قيمة بقوله : « واخشى ما اخشاه ان يتحول الشعر عندنا الى ما يشبه الصحف اليومية ، فهو حوادث واخبار عن الشاعر ، وليس فيه شعر ، وليس فيه تأملات ولا احلام ولا اوهام ولا عالم جديد ، بل ليس فيه نار نجتمع عندها او عليها ، فنشعر بشيء من الدفء يروح عن عواطفنا وافكارنا » .

واحسب ان الاستاذ الدكتور حكم ببعض الديوان على كله ، والتمس لهذا الحكم ما يؤيده من بعض ما جاء فيه من مقطوعات وقصائد ارتبطت بمناسبات عارضة ، وجاءت مفتقرة الى التجربة الصادقة ، والنظرة المجردة ، والفكر الجديد اذ ان الشاعر لم يكن في جميع ما قال يسجل احداث عصره ، حتى نحكم على الديوان بانه يحاكي الصحف اليومية في سرد اخبار وحوادث لا شعر فيها ، ولا تأملات ولا احلام ، لان تعميم الاحكام يفقدها الدقة والاحكام .

وليس من العدالة ان نحاكم الشاعر بغير قانون

العصر ومنطق الواقع . فلم يكن الاسمر نسيج وحده في شعر المناسبات الذي جاء استجابة لاحداث سياسية او اجتماعية ، او تعبيرا عن خواطر حول الناس والحياة كما يراها ويحسها ، لان كثيرا من هذه الاحداث اتخذت ابعادا خطيرة ، وكان لها تأثيرها في اجواء المجتمع وعواطف الناس، فالهبت المشاعر ، وفجرت القلوب بالغضب حينا والحزن حينا ، فجعل الشعراء يعزفون على اوتار القلوب التي تمور بالغضب او تموج بالحزن ، ويسجلون ادق مشاعرها، وابرز خوالجها ، لانها مشاعرهم وخلجاتهم قبل كل شيء فهم جزء من نسيج الامة المطحونة ، وهم حداة الشعب ، وطلائعه المثقفة ، وألسنته الناطقة ، ولا نستطيع ان نحجب عن هؤلاء الشعراء حقهم في الانصاف اذا كنا جادين في ان تكون للشعر رسالة ، وان يكون للشعراء دور قيادي في استشراف الافاق ، وتوجيه الابصار والبصائر .

واذا كانت مقولة الفن للفن تشد كثيرين من النقاد ، وتغري كثيرا من الشعراء بان يكونوا لانفسهم اولا ، وان يبتعدوا عن قضايا أمتهم ، فان مقولة الفن للحياة ينبغي ان تتسع ، ويتردد صداها، وتظفر بما تستحقه من اهتمام النقاد والمفكرين ، لان التزام الشاعر بقضايا امته حيوي للغاية ، وبخاصة في مراحل بنائها ، وتدرجها في مراقي التطور ، لان الشاعر برتاد الافاق ، ويحلق في جنباتها ليقع على خاطرة جديدة ، او يجلو مشهدا انسانيا ، اوينبه الى قيمة خفية فهو بشعره فصل في كتاب تطور الامة ، وترقية ذوقها ، وتحريرها من قيودها .

من هنا لا نعد الشعر السياسي والاجتماعي ضربا من الاخبار الا اذا خلا من العاطفة والروح ، وكان سردا يفتقر الى الفكرة الصائبة ، وقوة التأثير ، أما اذا مس مشاعرنا ، وارضى اذواقنا وعقولنا ، وعمق تجاربنا ورؤانا فاننا لا نبعد به عن ميدانه ، ولا نغمط صاحبه حظه من الصنعة والشاعرية .

وحسبنا ان نطوف بالديوان ، ونتجول في بعض رياضه ، ونقتطف شيئا من ازهاره وورده لنقف على ما فيها من جمال وايحاء ، وما تنطوي عليه من صدق يكسبها الخلود والبقاء .

فالامتيازات الاجنبية مثلا ، وهي من موضوعات الديوان التي احتفل بها الشاعر ، لا يمكن ان نتمثل حجم الاحساس بها الا اذا عشنا تجربة الشاعر وعصره ، وتمثلنا ما كانت تشكله تلك الامتيازات من مهانة وهوان ، وكيف انها كانت جرحا غائرا في قلب كل مصري ، لانه ليس اشد على النفس من ان تستشعر الضياع في بلدها ، والخوف في مأمنها ، وتفتقد الري والماء بين يديها .

فهل يعد الشاعر في تصوير هذا الظلم ، وتنفير الناس منه ، ودعوتهم للثورة عليه ناسجا لاخبار ، ومسجلا لاحداث ؟

لا اراك الا مشاركا للشاعر في الانفعال ، ومستجيبا لما دعاك اليه من ثورة على الامتيازات، ولا اخالك الا راضي النفس سعيدا لان مصر تخلصت من تلك المهانة ، وطرحت عنها اغلال الاستبداد بكفاح ابنائها ونضالهم في سبيلها .

ولنتأمل هذا الاستهلال الذي يشف عن نفسية قائله ، ويقتحم به قلب موضوعه :

ما ظل عندك من معنى ومن كلم   جل المقام عن القرطاس والقلم
ارض الفراعين ذلت بعد عزتها   من جرا الذل حتى حل بالاجم

وعن الوضع المعكوس الذي آلت اليه البلاد بعد ان استبد بها الاجنبي الدخيل يقول :

جاء النزيل فاكرمنا وفادته   واليوم نساله شيئا من الكرم
فاعجب لمصر وكم في مصر من عجب   وانظر الى القلب في الاوضاع والنظم

كدنا لما صار من عكس الامور بها   نمشي على الراس لا نمشي على القدم
كنانة الله تلك اليوم حالتها   وجودها اشبه الاشياء بالعدم
لهو الاجانب فيها لهو منتصر   عاثت كتائبه في ارض منهزم
يمثلون عليها من حقائقهم   ما لا يمثله الكابوس في الحلم

وهل تقرأ هذه الابيات فلا تتفجر عروقك بالثورة ، او يمور صدرك بالغضب ؟

لو لم نكن رمما في الناس ما ظفرت   بنا عصائب للغربان والرخم
حامت علينا ولو الفت بنا رمقا   لاجفلت مثلما جاءت ولم تحم
حطت جياعا فلما اتخمت نهضت   كيما تطير فما اسطاعت فلم تقم
لا يدفع الضيم قول انت قائله   بل يدفع الضيم عزم غير منفصم
ويدفع الضيم باس لا مرد له   ويدفع الضيم شعب غير منقسم
خاطب بكفك ان لم يستمع احد   لعل في اليد ما يشفي من الصمم
لا ينزل الظلم عن ظهر طواعية   ان لا يزل عنه رغم الانف لا يرم (٥)

فهل يفتقد مثل هذا الشعر عنصر التأثير من العاطفة القوية وروعة التصوير وامتداد الايحاء ؟ وهل نعد مثل هذا خبرا صحفيا وحدثا عابرا ؟

ولقد كانت الحرب العالمية الثانية لمن عاشوا احداثها، وقاسوا ويلاتها واكتووا بلهيبها ــ كانت هذه الحرب عبئا ثقيلا على النفوس ، وكابوسا مخيفا يطارد النوم من الجفون وكانت الغارات الجوية المتلاحقة تثير الخوف والاشفاق .

وقد عاش الشاعر ليلة من ليالي الحرب بكل اثقالها واحتمالاتها ، والتقط بمرآته الشعرية صورة فنية للطائرات المغيرة وهي تبحث عن فرائسها والاشعة تحاول رصدها ، وتحديد مواقعها لتصيدها الاسلحة الارضية وهذه الصورة لا تخلو من جدة وابتكار وامتداد ، وهي تشكل لوحة متكاملة الخطوط متشابكة الظلال والالوان ، فقد صور الطائرات بأبابيل طير عملاقة تحمل الشر ، وتبذر الدمار ، وهي تحاول الهروب من الاشعة فلا تكاد تظهر ، وهذه كأنها سواعد اعمى يقلبها في الليل عساها تعثر على ما لا تبصر العين ثم يعود فيصور الطائرات بالسحب التي تمطر الصواعق فلا تبقي ولا تذر .

يقول الشاعر في قصيدته « ليالي الغارات الجوية » (٦) :

ابابيل طير كالقلاع اذا سرت   سرى الموت منها محرق ومدمر

نظرت لها بين الاشعة يرتمي   سناها عليها فهي تخفي وتظهر
اذا كشفتها لم يطل كشفها ، لها   وميض كلمح البرق او هو اقصر
كان شعاع الكاشفات سواعد   يقلبها في الليل من ليس يبصر
يقلبها من لا يرى ما يريده   عساها بما لا تبصر العين تعثر
سحائب شر حاملات صواعقا   اذا امطرت فالويل ساعة تمطر

وفي قصيدته « فجر السلام » يصور لنا تجربة جديدة يمتزج فيها الفكر بالشعور والعقل بالعاطفة ، وهذه القصيدة تعكس خبرة الشاعر بالحياة ، ووعيا دقيقا بأحداث التاريخ وتجارب البشر ، صاغها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانقشاع سحبها الداكنة من سماء مصر ، فتنفس الناس الصعداء ، وهبت بلابل الشعر تغرد مع حمائم السلام على اوتار القلوب التي اشقتها ويلات الحرب وانعشتها تباشير السلام ، لهذا نعد قصيدة « فجر السلام » استجابة طبيعية لخواطر نفسية ، ومشاعر فياضة ، وهي ابعد ما تكون عن كونها حدثا يوميا ، او خبرا صحفيا . فهو يقول فيها مشيرا الى ويلات الحرب وآثارها (٧) .

سنون مضت مثل الدهور تلاعبت   بنا مثل موج الهائج المتلاطم
وكنا الفناها على قبح وجهها   كما الف الحاوي وجوه الاراقم
اذا طال حمل العبء هان احتماله   ولو كان هذا العبء بعض القواصم
تروض الهموم الناس ان طال عهدها   فهم تحتها كالخيل تحت الشكائم

ويشير الى ان الحرب عائدة ما دام على الارض مظلوم، وأن فجر السلام الذي لا يقوم على العدل فجر كاذب ، ووهم ضائع .

وهيهات ما ليل الحروب بمنته   ولا فهما في كل آن بصائم
اذ اما مضت عدت كسابق عهدها   بعاتم وجه فيه انياب قاصم
ستحدث حرب بعد تلك وغيرها   واخرى واخرى جاحما بعد جاحم
كذلك حال الناس لا السلم طبعهم   ولا بعضهم من شر بعض بسالم
هو الظلم ان لم ينقشع كل ليله   فلست ارى فجر السلام بدائم

وهذه الملاحظة الذكية من الشاعر ، الا تثير اعجابك، وتوافق اعتقادك في ان الظلم يضرم نار البغض في القلوب ، ويشعل الحروب التي تحرق اغصان الزيتون فيقول تارة:

وهيهات ما فجر السلام بصادق   اذ هو والى بين ليل المظالم

ويقول اخرى :

وما اوقد البغضاء في كل مهجة   سوى ظهر مظلوم ومهماز ظالم

وهذا الوصف الدقيق للقنبلة الذرية التي تمخضت عنها تلك الحرب . الا تجد فيه لمحة خاطفة ، وفطنة ذكية، وتصويرا رائعا ، وقدرة على التوليد والابتكار . يقول :

وذرية ان مست الطود قائما   تطاير ذرات فليس بقائم
بها انتهت الحرب الضروس فان يكن   من السحر شيء فهي بعض الطلاسم
عجبت لها من (بيضة) طار فرخها   حمامة سلم وهو شر القشاعم
لها في غد شان ، فما هو شانها   وشان سواها قادما بعد قادم
غرائب ما مرت على البال مرة   ولا خطرت يوما باحلام نائم

ولم يخل الديوان من قصائد كانت استجابة لتجارب شعرية ذاتية ، عبر فيها الشاعر عن خواطره المهتاجة ، سواء كان ذلك في علاقته بالمراة ، او في معاناته وكده في معترك الحياة ، أو في غربته عن مسقط راسه (دمياط) او في تأملاته في الكون والحياة . وهي قصائد لا ينقصها عنصر الصدق ، ولا يعيبها ضحالة الفكر ، ولا يمكن ان تدرج في شعر المناسبات العارضة ، والاحداث الطارئة .

واذا كنا ما زلنا نذكر قول المتنبي في تصوير حظ الاديب اللبيب من دنياه . ذلك الحظ المعاند الذي يتنكب للادباء ، ويسد عليهم المسالك ، وكأنه والذكاء نقيضان اذا كنا نذكر قوله :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي   باصعب من ان اجمع الجد والفهما

فان الاسمر يقول (٩) :

تشابهت الدنيا علي واظلمت   فلا نحسها نحس ولا سعدها سعد
وضاقت بآمالي بلاد عريضة   فياليت شعري هل يضيق بها اللحد
عرفت نجوم الافق وهي كثيرة   وحبب لي وجه الدجى وهو مسود
وفارقت حتى قيل لم يعشق النوى   واقمت حتى قيل ليس له رد
وعدت كاني لم اشمر لمارب   وماذا يفيد الجد ان لم يكن جد

ولم يعدم الاسمر حاسة الفنان ، وهو يلتقط المشاهد فيصورها ، ويبدع في تصويرها وله في ذلك لفتات تأخذ بالالباب ، وتثير الاعجاب كقوله في بعض قصائده :

قف على الشط وانظر البحـ   ـر تجده بما على الشط هاما
وانظر الموج كلما ابصر الغيـ   ـد ترامى يقبل الاقداما (٩)

وقوله في انثى نائمة :

رقدت والحس فيها يقظ   وغفت وهو عنيد الطرف صاح
واذا نام الورى اجمعه   في الدياجي لم ينم حسن الملاح

وبعد . فما بنا أن نستقصي الديوان في هذه العجالة وهو عظيم الحجم غزير المادة ، وما يعجز القارىء عن ان يجد فيه ما يمتع فكره ، ويثير وجدانه وما اخال الا ان الشاعر قد حاول من خلال ما قال ان يكون له فكره ورايه في الناس والحياة ، ولا احسبه قد اخفق في امتاعنا ببعض ما في الديوان ، وشدنا اليه .

وقد نخالف الاستاذ الدكتور شوقي ضيف في حصره الشعر الجيد في دائرة الصعوبة والتعقيد والتركيب ، لانه اذا كان ذلك مطلبا في هذا العصر الذي تنوعت فيه مصادر المعرفة ، وبلغ العقل مبلغه من النضوج والاكتمال ، فان ما جرى مع الطبع وجاء سهلا رائقا لا ينبغي ان نحكم عليه بالسطحية والضحالة ما دام الشاعر قد احس ، وانفعل بالتجربة ، وصاغها صياغة فنية موحية .

ولقد كان الشاعر متنبها الى اهمية الثقافة العريضة لكل من يتعاطى هذا الفن ، فابان من خلال مقدمة الديوان عن فهمه لاداة الشعر التي بها ينبغ الشاعر ويتبوا مكانا رفيعا ، واشار بصفة خاصة الى ضرورة الاطلاع على اللغة وادابها ، والى اهمية التجربة الشعورية ، والى الصياغة الفنية التي تبرز التجربة في ثوبها اللائق بها (١٠) .

واذا كنا نوافق الاستاذ الدكتور في ان بعض ما في الديوان لا يرقى الى مستوى الاعمال الفنية الكبيرة ، وانه لا يعدو كونه تسجيلا لاحداث يومية فاننا لا نوافقه في الحكم على الديوان كله بما حكم به ، لان الشاعر حاول ان يقدم



جميلة العلايلي

الطّير الفنّان

غنني يا طير واجهر بالنغم — انت تدري ما اقاسي من الم
واسكب الالحان في اذن الفضا — علّ في اللحن دواء للسقم
عل في اللحن نوالا للمنى — عل في اللحن شفاء للضرم
انت شادي الحب يا طير الربى — انت طيف النور في داجي الظلم
ارشد الفنان يا طير الهوى — في المغاني والاماني والنغم

ايها الفنان اني في الورى — اسمع الصم ولا ادري الصّمم
طر كما شئت ولا تخش الملا — انت حر فوق اوهام الندم
هاتها يا طير انغاما شجت — علّ في الاشجان برءا للسقم
ارسل الصيحة يحدوها المنى — وابعث الثورة في مسرى الهمم
راهب هل انت فيّ دنيا الهوى — بت لا تدري سبيلا للحرم
كيف تقضي الليل يا طير الفلا — هل ليالي الطير تخلو من الم

ايه يا طير الهوى اين المنى — اين من باح بحب او كتم
هل جفاك النوم فيمن قد جفا — وجفاك الصحب فيمن قد صرم
ذاك نجم الحب يهفو لامعا — أتراه ؟ ام تراءى في الحلم
يبعث الاضواء في صدر الدجى — يرسل الاصداء في قلب النهم
طر بوحي الحب لا تخشى الورى — واسم لا تنكص اذا الخطب الم
انما يا طير انت الحسن في — عالمٍ قد ضاق ذرعا بالامم

عين شمس ــ مصر — جميلة العلايلي

لنا فكرة في حدود ثقافته التي اشرنا اليها ، ولم يعدم الاداة المصورة او الالة اللاقطة ، او الحاسة الفنية .

واخشى ما اخشاه ان تتخذ بعض الاحكام الادبية صفة التعميم ، وتعتمد على مبدأ التصنيف ، فتنحاز لكل ما صادف هوى في نفوس اصحابها ، او تعارض كل ما لا يتفق وما تدين بهمن تيارات فكرية ، ومدارس ادبية .

على اننا اذا احتكمنا للمبادىء التي قررها الدكتور في مقاله والتي اشرنا اليها آنفا فلن نعدم الشاعر موطنا من مواطن الاعجاب ، ولن نعجز عن وضعه في الاطار الذي يستحق ، والمكانة التي هو اهل لها بين شعراء مدرسته خاصة ، وشعراء العصر الحديث بصفة عامة .

١ ــ الديوان : ص ٤٤٨ .

٢ ــ راجع مجلة الازهر المجلد ٢٢ ص ٢١٢ .
٣ ــ مقدمة الديوان ص : ط .
٤ ــ راجع مجلة الكتاب عدد ابريل سنة ١٩٥١ ص ٤٣٢ المجلد ١٠ .
٥ ــ الديوان ص ٧٤ ــ ٧٦ .
٦ ــ الديوان ص : ١٤٨ .
٧ ــ نفسه ص : ١٧٠ .
٨ ــ الديوا ن ص : ٢٤٣ .
٩ ــ نفسه ص : ٢١٩ .
١٠ ــ راجع مقدمة الديوان ص : م .

المنصورة ــ مصر — حسن عبد القادر مصطفى



بقلم : رستم كيلاني



اهدي هـذه القصة الي بطلتهـا « ناهد » واناديها بهذا الاسم المستعار بعد ان كتبت قصتها كما روتها لي ، وحكت احداثها بلسانها ذات يوم .. في رواق (نادي القصة) ..

لعلي اني بعهـد عاهدتها عليه ، ولعلها ترضى .. وهذا حسبي .

(...)

لم يقرب النوم جفني في تلك الليلـة منذ اويت الى مخدعي ، اذ عادت بي الذكريات الى الوراء سنوات . واي ذكرى . حب . كراهية . سعادة ام شقاء . من ناحيتي سأعتبرها ورقـة سقطت رغما عني من كتاب ضخم يحتوي كلاما فارغا .. وقد يحتوي قصة عظيمة انا فيها البطلة رغـم ارادتي . فانا .. وانت، وكل الناس لا نصنع حياتنـا ، وانما نعيشهـا فقط .

كنت اعيش مع والدي على وفاق . تام عيشة سعيدة ، هانئـة ، حتى مرت على منزلنا سحابة سوداء قاتمة .. فقد توفى والدي، مات بعدمرض عضال ، انفق في سبيل علاجه كل ما لديه من المال حتى ساءت ماليته فباع نصيبه في متجره لشريكه ، تركني انا وامي حائرتين ضائعتين دون عائل، او رصيد لولا امتدت الينا يد شريـك والدي – الذي كنت ادعوه عمي – وانتشلنا من المصير المجهول .

وبدانا نعيش بالاعانة الماديـة التي حددها لنا عيشة مرضية قانعـة .. وتلاشت السعادة التي كنت احياها انا وامي في ظل والـدي ، واصبحت بالنسبة لنا سرابا .

وتمر الايام تلو الايام ، والاشهر عقب الاشهر ، واكتملت الشهـور عاما .. وفوجئنا ذات يوم بزيـارة عمي – شريك والدي – وزوجتـه وابنهما الوحيد « ممدوح » وكانت لي قصة معه ، فلقد كان شابا مستهترا بالحياة ، خليعا مدللا، خائبا لا يتقن من فنون الحياة الا تسريحة الشعر وترفيع الشارب ، وركوب سيارتـه المكشوفة الحمراء والسلسلة الذهبية التي تطوق عنقه ، والسـوار الذي يلتف حول معصم يده اليسرى .

فكثيرا ما كان يحـاول تقبيلي او الخروج معي ، فقد دعاني اكثر مـن مرة الى نزهة بسيارتـه فرفضت ، كنت لا اطيق رؤيته ، ولا أتحمـل النظر اليه ، بل ولا سماع احاديثـه التي كان يذيلها بكلمات اجنبية تدل على ميوعته وثقل دمه .

وفي تلك الزيارة عرض علينا عمي – شريك والدي – ابنه ليكون زوجا لي ..

والجمتني انا وامي المفاجـأة ، وظللنا معقودتي اللسان وهو وزوجته وابنه يحملقون في سحنتنا التي علت عليها الجهامة ، والاكتئاب والذهول.

وبغتة قام عمي من جلسته هـو ومن معه في ضيق وخيرنا بين امرين اما الزواج من ابنه، واما انقطاع صلته بنا الى يوم الدين .

ووقفت انا وامي حائرتين امام هذين الامرين ، ثم اخترنا الامر الثاني وهو انقطاع الصلة متحملتين ما سيجري لنا بعد ذلك .

واخذ عمي الوحيد يفيض بما عنده من الوان التحقير والمذلة.. ولم ينبس احدنا انا وامي بكلمة واحدة وتركناه يناجي صداه ثم خرجوا من البيت وعيونهم الساخطة علينا تشع ببريق متقد ..

ورب قائل يقول .. ولماذا رفضت الزواج من ابن – شريك والدي – فأجيب على الفور لسببين : اولهما لانني كنت اكره ممدوح كرها شديدا لتفاهته وعدم مسؤوليتـه للحيـاة ، وثانيهما لان في حياتي « رفعت » ذلك الانسان الذي ساقتني الاقـدار اليه والايام اثبتت لي شخصيته مـن اخلاص ومحبة ووفاء واخلاق طيبة، فلقد كان يحمل في نفسه قلبا عامـرا بالحنان والحب معا ، كان شريفا معي ومنحته اخلاصي مقابل هذا الشرف الانساني الذي احاطني به ، وقبلت انتظاره حتى يعود من غيبته في الخارج حيث كان يعد رسالته العلمية .

سعيت حتى ظفرت بعمل ممرضة باحـد المستشفيـات الخاصة ، واصبحت اعيش بين العقاقير التي كنت اكرهها وبين الدماء والجراح .. مقابل راتب معقول بدات انـا وامي نعيش به عيشة راضية .

ومرت الايام .. كما مرت عـلى حياتي سحابة ثابتة قاتمة ، فبعـد مرض قصير اختفت امي من حياتي ، لقد كان موتها ضربة قاسية مـن القدر ، ومهما وصفت هول الفجيعة المؤلمة فلن تخرج مني سـوى كلمات قليلة لا تعبر عن الحقيقة المؤلمة .

واصبح لا يؤنسني في وحدتي بعد وفاة امي سوى ذكريات وخطابـات رفعت التي تحمل كل معاني الحب والامل ..

وفي يوم عطلتي رأيته امامي ، رايت ابن – شريك والدي – ممدوح الذي انقطعت صلتنا به وباهله منذ رفضي الزواج منه .

ولما رأيته كان من الواجب ان اصافحه طالما هو تقدم ومـد يده لمصافحتي

.. ومن سياق حديثنا العابر علم بوفاة امي كما علمت انا ايضا ان والده مريض منذ فترة ، ويجب ان اقوم بزيارته .

فضربت له موعدا ..

وجاء اليوم الموعود ، وذهبت الى المنزل في ضاحية من احدى ضواحي العاصمة ..

وعندما طرقت الباب استقبلني ممدوح فرايت في عينيه نارا تتقد وعلى شفتيه رعشة مجنونة لم اشهدها من قبل ..

وتقدمته الى الداخل وشعرت وانا اتقدمه انه ينظر الى ساقي واحسست بعينيه تطوقان بثنايا جسدي وقد آلمتني نظراته ثم دخلت غرفة الضيافة وعند المدخل التفت اليه فوجدته يتأملني بنهم شديد ، وعندما سألته التفت الي فجاة كأنني ايقظته من حلم جميل :

ـ اين والدك يا ممدوح .

وقبل ان اجلس على اول مقعد قال :

ـ البركة فيك يا ناهد .

ـ ماذا تقصد .

ـ اقصد ان والدي ووالدتي قد توفيا الى رحمة الله في حادث سيارة منذ اكثر من شهرين وقد نشرت الصحف صورهما .

وبغتة وقفت وقلت على الفور :

ـ ولماذا انكرت علي وقلت ان والدك مريض ..

وكالوحش الضاري مد يده القوية ودفعني نحوه واحاطني بين ذراعيه في قوة وقسوة قائلا :

ـ لانتقم منك لكبريائي ولكبرياء والدي صاحب الفضل عليك ..

فحاولت ان اصرخ فاذا به يحاول ان يطبق يده على فمي مهددا بكتم انفاسي اذا لم الزم الصمت ..

ووجدت في نفسي القدرة على المقاومة رغم ما كان يبذله من جهد جهيد ومحاولات عنيفة لحملي على الاستسلام .

وظللنا بضع دقائق في صراع عنيف ولم أشعر الا وانا اصفعه بشدة ، وتخلصت منه وجريت الى الصالة اتلمس سبيلا الى الهرب ، فلحق بي وطوقني بذراعه فدفعته بكل ما استطيع من قوة ، وانا العنه اشد اللعنات ، فالقاني على الاريكة التي توضع في البهو الخارجي للشقة .

ولست ادري بعد ذلك على وجه التحديد ماذا حدث لي ، لانه كان اقرب الى كابوس مروع منه الى حقيقة واقعة .

عدت الى المستشفى ورجفة مخيفة تسري في كياني وظلام موحش يتسلل الى روحي وبكيت هذه الليلة كثيرا



رستم كيلاني

*

وانهمرت دموعي تغسل وجهي وانا استدر منها المزيد علها تغسل فضيحتي ..

كنت حائرة شاردة التفكير ، وفي هذه الليلة كفت الاجراس عن الدق كأنها خبيرة بما في صدري من هموم واحزان فتركتني وحيدة ، وكان الوقت ليلا والقمر قد حاذى النافذة فتسللت اشعته الواهنة من خلالها فركعت على ركبتي ورفعت يدي الى السماء اطلب الستر وعدم الفضيحة.

ومرت ايام ، واتصلت بممدوح ، وصارحته بكل شيء ، وافهمته انه يجب اصلاح الخطأ الذي وقع فيه بأن يتزوجني ، فضحك ساخرا ، واعطاني ظهره بعد ان اتهمني بهذا الخطأ ..

ولم اخرج بنتيجة من تلك الزيارة .. بل خرجت مطرودة بقسوة ونذالة ..

وعدت الى المستشفى مطأطئة الراس، كأنني عائدة من ميدان حرب منهزمة أجر أذيال الفشل ، والخيبة، والعار .

واستسلمت للامر الواقع وكان لزاما علي ان اخبر رفعت بكل شيء، ولكنني فضلت ان اجعله يكرهني ، وينساني ويتزوج غيري من ان اراه حزينا ، يائسا من اجلي ، وبالرغم من ان الصدمة ستكون قاسية على نفسه ، صممت ان اقطع علاقتي به مهما كلفني ذلك من آلام ، فكتبت له خطابا شرحت له فيه انني اساق الى الزواج لظروف عائلية رغما عني ..

وفي نهاية رسالتي تمنيت له السعادة من صميم قلبي مع الانسانة التي تتجاوب معه عقلا ، وقلبا ، وروحا .

ولم تمض ايام حتى وصلت برقية من رفعت وقرات فيها كل عبارات الصدق والاخلاص والتمنيات القلبية مع الانسان الذي اختاره القدر ليكون زوجي .. وعند نهاية الكلمات اخذت الدموع تحبو على خدي .

ومرت الايام . واكتملت الايام شهورا .. وبدات احس بالحمل ، ورغم المحاولات التي كنت اصنعها من اجل التخلص من هذا الجنين الذي يرقد في احشائي من وصفات بلدية ، وعقاقير طبية ظهرت على علامات الحمل ، وتكلم عني الواشون وشاع أمري بين ارجاء المستشفى ، ولكنني احتملت صامتة ، صابرة حتى فوجئت صباح يوم من الايام بان المدير يستدعيني لامر هام .. فذهبت اليه فأخبرني بفصلي .

وفي صباح اليوم التالي رآني الزملاء والزميلات في ثياب غير الثياب

البيضاء ، ثياب الرحمة والنقـاء ، وكنت احمل في يدي صرة ثيـابي وحملت بين احشائي ذلك الجنين ، وسرت في الطريق امضي ولا اعـرف اي طريق اسير فيه .

عشرات الابواب وقفت امامهـا ذليلة كسيرة حتى ابتسم لي القدر فصادفتني سيدة في الاربعين مـن عمرها .. جميلة ، رشيقة ، اشفقت علي بعدما قصصت عليـها قصتي ووعدتني ان تجد لي عملا ارتزق منه، وسحبتني من يدي الى بيت سيـدة عجوز اجهضتني واطمانننت الى هذه السيدة الجميلة ووجدت فيها الامل الاخير ، ولم البث ان تبينت من خلال لقائها وحديثها لي انها صاحبة احدى المراقص .

وما كان علي الا ان اهرب من هذا المصير الذي ينتظرني .

وعدت من جديد والدموع في عيني والالم في قلبي ، عدت لاطرق ابـواب الرزق ، ولكن بلا جدوى ، فلم اجـد سوى رؤوس تهتز آسفة .

ولما عضني الجوع عدت كارهـة مرغمة الى هذه السيدة التي صادفتني يوما في الطريق ، وانضممت الى هذا البيت الذي يفتح ابوابه للائي رسم لهن القدر الطريق الطويل الموحل .. طريق الخطيئة ليطلق عليهن المجتمع اسم « خاطئة » دون ان يستمع الى الدوافع التي من اجلـها انحرفن ، وبذلك يضعن دفاعهن في الفضاء ..

نعم انضممت الى هذا المأوى وكنـت لا ادري عن هذا العمل الجديد شيئا ،

ولكنني بدات في اول الامر استعـين بزميلة قديمة سبقتني الى هـــذا العمل منذ فترة ، فعرفت حيـاة الليل ، وشعرت بذل الحياة ومذاقها

ومضت الايام متشابهة متلاحقة حتى احتل المرض صدري ، فنقلت الى المستشفى لاعـالج من هـذا الداء ، ولزمت بضعة ايام لا افـارق فراشي حتى مللت وسئمت مـن نفسي كما اصبحت الحياة امـامي غائمة .

وفي ظهيرة يوم امسكـت باحـدى الروايات استجلب بها النعـاس كعادتي ، وفجاة فتح باب الغرفـة دون استئذان ، وكان الفاتح هو .. اجل هو .. هو رفعت حبيبي ، ولم اصدق عيني ففركتهما بيدي ، ثـم نظرت اليه محملقة وجمدت عينـاي عليه .. هو حقا ..

واقترب مني وجلس بجانبي على حافة الوسـادة واخـذ راسي الى صدره وضمني في لهفة ، ورحت انا الاخرى اتشبث به .

واخذنا نتحدث ، وتطور بنـا الحديث الى ان علمت منه انه اخطأ في غرفة امه المريضة التي ترقـد في الحجرة المجاورة لحجرتي ، لذلـك فتح الباب دون استئـذان كعادته ، والقدر قد نسج خطته لنتقابل .

وفجاة .. هب رفعت من مقعده واقفا وابتعد عن مخدعي، ولمحت على وجهه الما وندما وهو يقول :

ـ آسف يا ناهد لاندفاعي هكذا ، لم اكن في وعي عندما اقبلت عليـك نسيت انك زوجة .

وضحكت ، ثم قال على الفور :

ـ ماذا يضحكك يا ناهد ..

ـ لانني يا رفعت لست زوجـة لاحـد ..

ـ ماذا ؟ اذن لماذا ارسلت رسالتك الاخيرة ؟

ـ الواقع انها قصة بدات بعـد رحيلك الى الخارج وتنتهي قبـل مجيئك الان بلحظات .

ـ اريد ان اسمعها .

ـ عندما تجلس بجانبي .

وجلس رفعت بجانبي واعتدلت في جلستي وامتدت يده الى يدي وضغط عليها برفق ، ثم رويت له قصتي بكل ما فيها من تفاصيل .

.....

.....

.....

وبعد انتهاء حديثي ران بيننـا صمت طويل ثم قطعه رفعت بقوله :

ـ كان قلبي يحدثني ان هنـاك شيئا غامضا هو الذي جعلك تتصرفين هكذا ، والمهم دعينا الان نودع الماضي اللعين ، ونطوي صفحته فلنبـدا الحياة ، ونبني معا عشنا الهـادىء الذي يسوده الفهم والتقدير ، وتملأه السعادة والحب والحنان ، وسأبذل كل ما في جهـــدي لاسعادك حتى اعوضك حرمان الماضي .

ولما حان موعد مغادرتي المستشفى

كان رفعت في انتظاري واخذني بيدي واتجهنا الى عشنا الهادىء الجميل الذي تملأه السعادة والحب والحنان وقضينا اوقاتا سعيدة هانئـة يرفرف علينا الحب الطاهر بجناحيه .. حتى نسينا ما فات ولم يبـق امامنا سوى ما هو آت .

القاهرة **رستم كيلاني**

انشودة للميلاد

القاضي محمد شمس الدين

طرابلس – لبنان

في بيت لحم ، والدنى ظلام
اضاء حلم ، بدد الظلام
وزعزع القصور والهياكل
.. في ذلك الصباح
هل كالصباح
من مذود
حنت عليه نجمة
توزع العبير
وتحضن الصغير
وتنديه مهجة دافئة الغلائل

*

في بيت لحم ، والدنى سكون
والثلج ملء الارض
اطل يمحو البغض والسام
ويسكب العزاء
في جوانح تنوء بالالم ..

*

وهلل الرعاة
للقادم المبشر البشر
يضم ملء صدره
عوالما في صدره
... وللحزانى بسمة القدر

*

وصفق الزيتون للوليد
تحية الذرى ،
ولفتة المشتاق للمباكر الجديد
يهدهد السلام
ويحرس السلام
ويلتقي الغمام والثرى
في موعد مع الصباح ، اخضر
ففي العيون
بهجة الصفاء
ومسحة الرجاء
... وفي الضلوع خفقة المنتصر !



حسني سيد لبيب

قراءة في شعر ميشال المغربي

بقلم حسني سيد لبيب

* * *

فنّان عظيمان يهفو اليهما فؤادي : الشعر والموسيقى . تجتذبني دواوين الشعر بكلماتها العذبة ، مثلما تجتذبني الموسيقى بأنغامها الشجية . الفن الاول اداتـــه الكلمة ، والثاني اداته النغمة . واذا قلنا ان للشعر موسيقى ، امكن التدليل على وثيق الصلة بين الفنين العظيمين . واذا قلنا ان الموسيقي يعبر بالنغمة عن مشاعر النفس ، من فـرح وحزن ، وأمل وألم ، واقبال وادبار .. فان الشاعر يعبر بالكلمة عن ذات المشاعر . وكما تكون الموسيقى : اما نغمة متآلفة متوافقة ، واما نغمة نشاز تبعد عن دائرة الفن ، كذلك ينسحب القول على الشعر . فلا بد ان تكون الكلمة ترجمة صادقة لما تحسه النفس . وما اسهل التعبير عن المشاعر بالكلمات ، وما أصعب قرض قصيدة فنية .

هنا تبرز قضية من اخطر القضايا ، الا وهي قضية « الصدق الفني » . فالحكم بيننا وبين اي عمـل فني ابداعي ، هو « الصدق الفني » ، وهـو غير « الصدق » بمعناه المطلق ، وان كان يأخذ منه او يعطيه . وللصدق الفني سمات وخصائص يكون من مجموعها هـذا الشيء الذي نقيس او نقوّم به العمل الادبي .

وفي الادب ، يكون مقياس الجودة ، ما نحسه مـن صدق فني . واذا ما قرانا عملا ادبيا ، يكون الحكم له او عليه ، او مزيجا من الحكمين ، بناء على تجاوب نفس المتلقي لهذا العمل ، سلبا او ايجابا .

حين اقرا قصيدة او ديوانا ، اسأل نفسي : ما مدى تحقيق الصدق الفني في هذا الشعر ؟ وما النواحي التي ابدع فيها الشاعر ؟ وما هي المفردات التي كلـف بهـا الشاعر ، وشكلت شيئا ما في ديوانه ؟

ومن الاجابات ، تتكون نظرتي لهذا الشعر وصاحبه.

اسوق هذه المقدمة ، بمناسبة قراءتي ديوان « امواج وصخور » لشاعر المهجر الجنـوبي ميشال مغربي ، الذي ارتحل عن دنيانا ، ولم يترك لنا غير هذا الديوان ، وآخر سبقه « العواطف » . وبين الديوانين خمسة وخمســون عاما . وديوانه « العواطف » صدر عام ١٩٢٢ والثـاني « امواج وصخور » صدر عام ١٩٧٧ بعد وفاة الشاعر . وقد اشرفت زوجة الشاعر السيدة فيوليت على جمـع قصائده وطبعه .

ولد ميشال مغربي اواخر عام ١٩٠١ في مدينـة الاسكندرية من ابوين سوريين . وفي هذا يقول :

كلتا الشام ومصر غذتاك فما ميزت احداهما عن اختهـا بلدا
ان كان جد تضم الشام اعظمـه فثم جـد بوادي النيل قد رقـدا

قضى سنواته العشر الاولى في مصر .

واصدر ديوانه الاول وهو في سن العشرين .

وفي عام ١٩٢٣ نزح الى ديار المهجر قاصدا مدينـة « سانتياجو » ، ثم ما لبث ان غادرها الى « سان باولو » بالبرازيل ، حيث استقر هناك .

وفي عام ١٩٣٩ اقترن بابنة عمه فيوليت .

وفي عام ١٩٧٧ اصدرت زوجته ديوان « امـواج وصخور » . ويبدو انه صدر عقب وفاته . ولم نعثر على تاريخ الوفاة . على ان للشاعر قصائد مؤلفة عام ١٩٧٥ ، اي ان وفاته تقع بين عامي ١٩٧٥ و١٩٧٧ .

اهم ما لفت نظري ، ابداعه في القصص الرمزي ، المصبوب في قالب شعري جيد . كما كانت قصائد الحنين للوطن شحنة متدفقة مـن شحنات العاطفـة المشبوبة .

ويدبج رائع القصيد اذكاء للروح القوميــة ، عن ايمان

صادق بعروبته ، وبروح الاخوه التي تربط بين المسلمين والمسيحيين . تلك نواحي الابداع في شعره . نلمس منها صدق التعبير واصالته ، دون افتعال ، مما يجعل التجربة الفنية التي يحس بها الشاعر او يمر بها ، تنتقل الينا طواعية ، فنتعايش مع التجربة ، ان لم نكن نخوضها معه ، مما يرتقي بالفن الابداعي الى مرتبة « الصدق الفني » .

وعن المفردات التي تشكل في مجموعها شخصية شاعرنا ، نذكر منها :

الوحدة العربية : تعبيرا عن ايمانه بالوحدة .

العاصي : النهر السوري ، تعبيرا عن حنينه لوطنه الام .

حمص : يلهج باسمها من ديار المهجر ، حنينا وشوقا .

الانجيل والقرآن ، المسيح واحمد : تعبيرا عن روح الاخوة بين المسلمين والمسيحيين .

هند : مشيرا الى حبه القديم ، وهو في شرخ الشباب و « هند » تعكس من جانب اخر حنينه الوطن .

القصص الرمزي

القصص الرمزي ، لون بارز ، يبدع فيه الشاعر اجود قصائده . وفي مقدمة الديوان ، يحدثنا الاستاذ عبد الله يوركي حلاق عن ذلك بقوله : « شاقنا اول ما شاقنا منه هذا الشعر الابتداعي الرمزي الذي جاء به في قوالب قصصية خيالية ، هذا الشعر الذي لا يمكن ان تؤخذ منه شواهد ببيت أو ابيات من القصيدة للدلالة عليها ، بل القصيدة برمتها » .

ومن هذا اللون الشعري المتميز ، قصيدة حساب بين النفس والتراب) . وهي حوار طريف بين الجسد والروح . كل من الاثنين ينسب الفضل لنفسه ، او يضفي الاهمية على وجوده . يعبر « الجسد » عن اياديه للانسان واهميته بأبيات عديدة تعكس ما للاتجاه المادي ، المتمثل في الجسد ، من نزوع الى الجدل والاستفسار الدائب . بينما تكتفي « النفس » بالرد الموجز . ما يقوله « الجسد » ابيات تتغير قافيتها من استفسار لآخر ، دلالة توزع اهتماماته ، وتعدد اهوائه . اما « النفس » فترد على الاستفسار بأبيات ذات قافية واحدة لا تتغير ، تبين عن استقرار النفس وثباتها .

هنالك حساب بين النفس والجسد ، يصاغ حوارا لطيفا بين جسد ترابي ومآله القبر ، ونفس ستصعد بعد حين الى بارئها . الجسد الترابي يسأل والنفس العلوية تجيب . ويكون استفسار « الجسد » في خمسة ابيات ، وتجيب « النفس » ببيت واحد موحدة قافية شطريه ، وقوافي الاجابات جميعها . ان استفسارات « الجسد » تتعدد قوافيها من استفسار لاخر . وهذا من شأنه ان يعكس حالة نفسية لا ادري هل اتت الشاعر طواعية وبعفوية ام قصدها ؟ وان كنت ارجح الرأي الاول . ذلك ان شاعرنا المهجري شاعر تلين له اللغة ازاء ما يريد التعبير عنه . نلحظ هذا في السلاسة والحس المواتي لصاحبه . وهذه الحالة النفسية سببها تلك الاهواء والرغائب التي تتنازع اجزاء الجسد الواحد ، فنجده لا يستقر على حال ، فتختلف قوافي الفقرات ، بينما النفس ثابتة الراي مستقرة ، فتتفق قوافي الردود . كذلك نلمس استفسارات « الجسد » يطول شرحها في خمسة ابيات ، وكما يستهلك « الجسد » طاقته في جميع الانشطة، كذلك يستهلك طاقته في الاستفسار والتقصي ، وفي التنقيب والبحث ، بينما « النفس » تختصر الرد اختصارا ، وفيه الجواب المقنع الوافي الكافي . وكلمة « يستهلك » يمكن ابدالها بكلمة « يسرف » ، ذلك ان « الجسد » يسرف في تبديد طاقته ، ويسرف في تقديم تضحياته ، حتى يؤول به الامر الى الفناء المقدر المحتوم . بينما « النفس » تعلو وتسمو وتتأصل ، طالما تقادمت عليها السنون ، تجددت حيويتها . ان مآل المادة الى زوال صورتها التي تشكلت عليها ، في شكل جسد متهالك فان ، وان الروح لتصعد الى بارئها ، كومضة ضوء ساطعة ابدا .

والشاعر من شعراء المهجر ، وفي قصيدته روح المهجريين ، وخاصة ايليا ابي ماضي ، الذين ضمنوا قصائدهم تساؤلات عن اصل الوجود ، وسر النفس ومآلها . ولعلها سمة بارزة من سمات الشعر المهجري . تتصدر هذه القصيدة الديوان ، وتعد متفردة قلبا وقالبا . ولعل القارىء يشاركني متعة قراءتها . واقتطف هنا جزءا منها . يقول « الجسد » للنفس ، منوها بتضحياته ، متعجبا لفنائه :

انا اولى يا نفس منك باجر	**وثواب لو انصفتني السماء**
فانا دونك الذي جاء للغبراء	**لا يدري ما هي الغبراء**
وانا دونك الذي تاكل	**الادواء منه وتنهش الارزاء**
غير اني كبش الفدى فلك الخلد	**اخيرا ولي الردى والفناء**
فلماذا الارواح تخلد والاجساد	**تفنى وما لهن جزاء ؟**

وترد النفس ملطفة مهدئة :

قالت النفس هذه حكمة ايها التراب قد يكون الموت الذي انت تخشى هو الثواب

في قصيدة (حكاية وردة وحلية) يقترب الشاعر من القصص الشعري . وفي حكايته من الطرافة ، والمقابلة ، وجزالة التعبير ، ما يجعلنا نقرا القصيدة مرات ومرات دونما ملل .

يحكى عن « حلية » اصابها غرور حين جاورت « وردة » . ولما وجدت الوردة تفوقها في الحسن ، وتزيد عليه نشرها للعطر ، اكد الحسد قلبها ، وخاطبتها بأسلوب المكابرة :

قالت اراك لحاك الله قد بلغت	**بك الوقاحة حدا جاز مصطبري**
اتطمعين بقدر ما خلقت له	**وتجلسين على رشي بلا حذر**
لانت مبذولة للناس قاطبة	**لكل ذي حظر او غير ذي حظر**
اما انا فلاهل الجاه وحدهم	**للاغنياء السراة السادة الغرر**

تعتز بي وبامثالي الحسان وفي … كل المجالس حسني فتنة النظر
ويستعين بنا عشاقهن على … اغرائهن فتدنيهم من الوطر
وان اعمارنا دهرا تدوم لنا … وليس للورد الا اقصر العمر

لوحة شعرية رائعة ، تجسم الضغينة التي تضمرها الحلية المتباهية للوردة النضرة . وفي كلماتها احساس بالتعالي ، وبأنها من طبقة عليا لا تدانيها الوردة .

ونلاحظ هنا ان لغة الشعر تطاوع شاعرنا ، فلا نجد كلمة تنبو على الذوق ، او صفة تباعد بيننا وبين شعره . وقل ذلك عن القصيدة كلها ، وعن اغلب شعره .

نعود الى حكايتنا ، وقد شاقنا رد الوردة على ما وجه اليها من اقاويل :

والارض لو وجدت من دون لؤلؤها … ودون ياقوتها والله لم تفر
لكنها لو تعرت من ازاهرها … لما تبدى عليها رائع الصور
هذا ولست على عمري بآسفة … ان كان مختصرا او غير مختصر
فبعد حين تراني العين ثانية … في وردة غضة تاتي على اثري

فينقلنا الشاعر الى لوحة شعرية ثانية ، تعكس بلاغة الرد ، وجزالة اللفظ . وتستقر في اذهاننا حقيقة ثابتة ، هي ان الخير لمن يجزل في العطاء ، ويبادر بالتضحية فالوردة تمتع الناظرين بحسنها ، وتعطر الجو بأريجها .. ويكون لقاء هذا قصر عمر الوردة ، ولا يوجد عطاء بدون تضحية . ثم نجد الوردة قد ارتفعت قدرها وعلت به منزلة .

ثم تنتهي الحكاية اللطيفة بلوحة شعرية ثالثة . تصور مآل كل من الحلية والوردة ..

ومر عام اذا الحسناء راقدة … تحت التراب كما شاءت يد القدر
فلم يكن قبرها تعلوه حليتها … بل كان يعلوه ما ينمو من الزهر
وبينها وردة بيضاء باسمة … على الضريح ابتسام العز والظفر

يقصد الشاعر الانسان .. فالناس معادن ، منهم المغرور ، ومنهم المحب الخير والناس . ويقصد شاعرنا تكالب البشر على المادة . يتباهى صاحب المال ، وتختال ذات الجمال ، والكل في النهاية زائل ، وتبقى المعاني النبيلة التي يرسي قواعدها ذوو النفوس السمحة ، التي جبلت على التضحية والايثار .

* * *

و (المريضة) لوحة قصصية رائعة ، يبرز فيها ميشال مغربي رائدا من رواد الشعر الانساني . وفيها يتفوق الشاعر في التعبيرات الوصفية الموحية .. فهذا شعر مريضته يموج على الوسادة مثل غياهب الليل :

وماجت على صدر الوساد شعورها … غياهب ليل بعضها يزحم البعضا

وفي وصفه لحال مريضته يقول :

تضج من الحمى وتطلق زفرة … الى زفرة في حر لافحة الرمضا

فالداء حمى ، بما يصحبها من ارتفاع حرارة ، فتزفر الزفرات الساخنة ، في تتابع وتلاحق .. « وتطلق زفرة الى زفرة » .. دلالة كثرة الزفرات وتزاحمها . اما نظراتها فموزعة بين سقف الحجرة ، وزائريها .

فتلمس المقابلة الرائعة بين النظرتين :

للسقف حينا ترسل الطرف حائرا … وحينا الى العواد ترسله خفضا

فالنظرات موزعة مرة الى السقف ، فتكون النظرات « حائرة » ، والحيرة هنا مصحوبة بالرجاء . تتجه بحيرتها الى السماء ، متمثلة في سقف الحجرة . ومرة اخرى تتجه نظراتها الى الزائرين ، فتكون النظرات «خفيضة» ، وفيها من ذل المرض ما يجعلها ادنى مرتبة من زوارها .

ويكمل الشاعر وصف حال مريضته ، مفسرا ما ضمنه في البيت السابق ، فيقول :

كمرتقب غوثا وليس ينساله … وقد حار هل يرجو السماء ام الارضا

* * *

ومن الشعر القصصي ايضا ، وما اكثره في الديوان ، قصيدة (الناعورة والشجرة) . الناعورة تظل تدور وتسقي الشجرة سواء نزل المطر ام انقطع ، لكن الشجرة جاحدة للفضل ، ضائقة بالعيش قرب ناعورة دائمة الانين والجلبة. نسمع صوت الشجرة تشكو هذا الانين الدائم :

ثكلتها ناعورة على النحيب تداب
يكاد ان يغرقني مدمعها المنسكب
كانها ام الى الموت بنوها ذهبوا
او انها غراب بين فوق راسي ينعب
ضقت بها ذرعا فيا رباه كيف الهرب

وتعقد الشجرة مؤتمرا مع الطيور ، داعين الله ان يرحمهم من صخب الناعورة ، وشاءت حكمة الله ان تهبط صاعقة من السماء وتحطم الناعورة فتصبح « حطبة في بادية » . ويكون تعليق الشاعر هو المغزى المراد من قصيدته :

« لا تكرهوا شيئا » يقول الله في قرآنه
لعله خير لكم ونافع في آنه

ويتميز الشعر القصصي ، بحسن الصياغة وجودة السبك . وان كانت في قصيدته هذه مقطوعة زائدة يمكن ان تكتمل القصيدة بدونها ، وهي المقطوعة السادسة ، التي تنطوي على سرد ما اغنى القارىء الذواقة للشعر عنه . ناهيك عن القصة النثرية ، وما يأخذه النقاد عامل

ضعف اذا اتسمت القصة بالسرد الذي يضعف البناء الفني . فبعد ان انعقد مؤتمر الطيور برئاسة الشجرة الجاحدة ، ودعوا الله سبحانه ان يقيهم ازعاج الناعورة .. كان يمكن تجاوز هذه الابيات ، التي هي تعقيب زائد من الشاعر .

وسمع الله من الشجرة الدعاء
سمعه لكنه عنها غدا مستاء
فانه ، وهو الحكيم العارف الاشياء
اراد ان يعدل في احكامه ما شاء
وان يزيل الكفر والجحود والبغضاء

ابيات زائدة لا مكان لها في قصيدة من الشعر

القصصي الرمزي ، الذي يتسم بالقول الموجز ، والمعنى الموحى . ثم نجد في هذه الابيات ما يعيب ، اذ صور الشاعر الذات الالهية وقد « غدت مستاءة » !.. وما كان للفن الشعري او سواه من الفنون ان يتجاوز حدوده ، ويفسر تصرف الله سبحانه وتعالى ، في قصة نسجها خيال الشاعر .

★ ★ ★

وقصة اخرى تتضمنها قصيدة (بين ليون وغرناطة) المترجمة بتصرف . وفيها يحكي قصة امير عربي شهم ، غزا غرناطة وليون ، واسر عذراء رائعة الجمال ، فأغراها بالعيش في قصره المنيف ، وتنعم بعزه ومجده ، لكنها امتنعت وطلبت العيش في وطنها « ليون » ، حيث بيتها الصغير الذي يتمثل لها فردوسا اثيرا . فاذا بالامير الشهم يطلق سراحها ، ويعيدها الى وطنها ، وخلفها الابل المحملة بالزاد . ويختتم الشاعر قصته الرائعة بهذا البيت المعبر :

وانتهى ذاك الامير الى القصر وظلت له خلال الامير

★ ★ ★

وتأتي قصيدة (الصياد وعروسة البحر) ، نموذجا اخر يشهد باجادة الشاعر في شعره القصصي القائم على المحاورة . فنقرا حوارا لطيفا بين صياد يلقي شباكه في البحر ، فلا يأتيه رزق . وتبدو امامه عروس البحر ، فيهواها . يناديها ان تخرج وتعيش في كنفه ، لكنها تتمنع وترغبه في العيش معها في عالمها . والبحر عالم عجيب . لكنه يخشى الردى . وتظل اغنية اللقاء معلقة بينهما .

قال وان انا مضيت ساعيا اليك في البحر سعى حتفي معي
قالت فما نصنع حتى نلتقي ان كان ليس للقا من موضع
قال انظري عيني يا نورهما ففيهما بحر دما من ادمعي

قالت ففيهما اقيم فنعيش ابدا
الروح لا تشبع الا ان اجعنا الجسدا

وتأتي هذه الابيات، دليل قناعة كل طرف بعالمه الذي خلق له ، ويبقى هذا الحب الصامت الغامض .

الحنين الى الوطن

حين هاجر عام ١٩٢٢ ، لم يحاول قرض الشعر سبع سنوات . ولعل مشاغل العمل الجديد، وحياة المهجر الغريبة عليه ، قد اسكتت قيثارة الشعر هذا الزمن الطويل . ثم خرج عن صمته عام ١٩٢٩ ليناجي وطنه البعيد عن ناظريه ، القريب من فؤاده .. يقول في قصيدة (نجوى العاصي) :

يا ايها القاصي سلاما عاطرا هو من حبيبك زنبق واقاح
يا ايها العاصي تحية نازح صب تمض فؤاده الاتراح
يشتاق عاصيه واحباباً له بربوع عاصيه لهم يلتاح

ويتحدث عن صمته الطويل :

هذي هي السبع العجاف تصرمت فهل السمينة بعدهن تتاح
ام ان باب الرزق دوني مغلق ابدا ولن يعطى لي المفتاح

اعدوا وراء الرزق عدو مطارد وعلا عرته رعونة وجماح
اعدو وليس جناي الا حصة ضنزى اذا حصلت عليها الراح

فنجد سعيه وراء الرزق كان شغله الشاغل ، الذي صرفه عن الشعر .

★ ★ ★

ما زلت مؤمنا بأن اروع الشعر اصدقه ، متباعدا في اللفظ عن القول الشائع بأن « اروع الشعر اكذبه » !.. واصد قالشعر ، المقصود به ما يأتي تعبيرا صادقا عما تحسه النفس . وكلما كان الشاعر صادقا مع نفسه ، مترجما عن لسان حالها ، اتى شعره مجيدا متميزا متفردا ، ويصيب هوى لدى متذوقيه .

ونقرا لشاعرنا ميشال مغربي ، فنحس ببعد المسافة بيننا وبين ما نقرا . ثم نقرا له شعرا اخر ، فنحس اننا قريبون منه ومن شعره .. وهذا الشعر او ذاك ، مبثوث في ديوانه « امواج وصخور » . ولا عجب في هذا ، فالشاعر احيانا ينظم الشعر في المناسبات ، كاحتفال بذكرى او رثاء او مديح . فنجد النظم يطاوعه كصانع ، ولكننا نحس المسافة بعيدة نائية بيننا وبين هذا الشعر المنظوم ، او قل « المصنوع » .

وتعد قصيدة (اياب) نموذجا رائعا للشعر الصادق انشدها تعبيرا عن لسان حاله ابان عودته الى الوطن ، بعد غربة ثلاثين عاما ، بكل المعاناة والشوق والحنين . وترتبط هذه القصيده اوثق الروابط بهذا الصدق النفسي اي ترجمة الشاعر عما تحسه نفسه ، فينتقل هذا الصدق انتقالا عفويا ، سلسا ، الى نفس المتلقي .

يستهل رائعته بهذين البيتين :

بصلاتي الخرساء عدت اليك لا بتغزلي
فنشائدي جمدت على شفتي بعد ترحلي

ويخاطب وطنه ، مستعيدا ذكريات حلوة :

يا دار ما انا بالغريب ، علام لي تتنكرين
انسيت وجه فتى شهدت هواه في ماضي السنين
يغشاك ملتقيا بهند فتطربين وترقصين
وتهيئين له مكانا ههنا ، هل تذكرين ؟

والعائد من الغربة ، بعد ثلاثين عاما ، يستشعر الغربة بعض الشيء في وطنه ، ذلك انه يستعيد ذكريات الماضي، فلا يجد لها الان اثرا . الزمان غير الزمان . فما كان من شاعرنا الا ان يناجي داره ، وطنه ، وينفي انه غريب عنه ، ويدلل على ذلك بذكريات حبه .

ويسترسل في سرد هواه ، برغم تبدل الزمان ، فما زال للحب الاول طعمه الحلو ومذاقه السائغ . يذكر حديثها ، وجمالها ، ورسائلها ، ولياليي انسها : ثم يذكر اساءته للحب ، فما غفرت له هند ، وتألمت لهذا اشد الالم . لكنها وقت ترحاله ، تنسى آلامها وكبرياءها ، وتجزع للرحيل ، وتعانقه عند الوداع .. وها هو يؤوب فيناجي دار الحبيب ، وفيا للعهد القديم .

الروح القومية

يؤمن الشاعر بالقومية العربية ، ووحـــدة ارض العرب ، وعدم التبعية للشرق او الغرب . نلمس هـــذا في اشعاره ، حيـث ينتهز المناسبات ليجدد القـــول ، مستصرخا العرب ، مذكرا اياهم بأمجاد الماضي التليـد ، كي ينهضوا من كبوتهم ، ويصلحوا من شأنهم ، مجتنبين الخصومات والاهواء . كما يستنفر الهمم لنصرة الحـق العربي والقضية الفلسطينية .

وميشال مغربي شاعر عربي مسيحي ، ينشد القدوة الحسنة في تعاليم دينه . وتتأصل عروبته بحكم انتمائـه وهو في هذا لا يفرق بين مسيحية واسلام ، وانما ينتهـز كل مناسبة للاشادة بالاخوة بين المسلمين والمسيحيين . يقول في قصيدة (ايها المصلوب) :

انـي عـلى ديـن رضعت حليبـه ... لا اهجر الابـــاء والاجـدادا
اما اذا اشركـت فيـه فانمـا ... اشركت فيـه عروبتي والضادا
انـا لا افرق بـين نصرانيـة ... تسمـو واسلام أراه سـدادا
خير الورى من كان عـن انجيله ... او كان عن قرآنه مـا حـادا
جودت قرآني وانجيـلي معـا ... انشـدت آيهما معـا انشـادا
« عيدت » اعيـاد المسيح واحمـد ... وجعلتهـا لعـروبتي اعيـادا

والشـواهد كثيرة . ويكفي ان نذكر القصائـد التي القاها في ذكرى « المولد النبوي الشريف » : قصيدة (لبيك نور المسلمين) عام ١٩٦١ ــ قصيدة (الرسول العربي) عام ١٩٥٤ ــ قصيدة (صيحة الصحراء) عـام ١٩٥٧ ــ قصيدة (مولدية) عام ١٩٦٠ .

ومن قصيدة (الرسول العربي) نقتطف هذه الابيات:

قد اصطفى الله ذيـاك اليتيم فيا ... لليتم يكرمـه البـاري ويسعـده
كانت به رحـم الازال حاملـة ... وكان مولـد نـور الحق مولـده
قالوا الامـين وقالوا اليمن طالعه ... فلم يضيء بسوى الاسعاد فرقـده
ما عاد من متجر الا وفي يـده ... رزق حـلال بـه البـاري يزوده
حتى تمخضت الدنيـا باوحدهـا ... فكان في الغـار مشهودا توحـده
وكان ثـم لجبريـل تـردده ... حتى يبلغـه ما قـال موفـده
اقرا فيقـرا امي صحائـف من ... لا عقل يدركـه او عـين تشهده
وينزل الوحي، يا شعر اختبيء فلقد ... فاه النبي بشيء لسـت تعهـده
فـاه النبي بآيـات منزلـة ... وخلـد الضـاد قرآن يخـلده

ان ايمانه بالقومية العربية نابع من تكوينه الثقافي ، اذ كان تلميذ الكاتب الوطني حنا خباز ، مؤسس الكليـة الانجيلية الوطنية في حمص ، الذي رفض منهاجا دراسيا وضعته سلطات الاحتلال الفرنسية ، لا يتفق مع القومية العربية . كما انه قضى سنواتـه العشر الاولى في مصر ، فاعتز بها ، واشاد بفضلها على العرب . كما انتهز مناسبة قيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، فأنشد قصيدة (عرس القطرين) يقول فيها :

يدعوكم الدين والدنيـا الى علم ... موحـد يـذر الاحقـاد واللددا
تربصت بكم الاضداد فاتخـذوا ... من التضامن درعا واكثروا عـددا

كما غذى اتجاهه القومي ، بعده عن وطنـه الام ، فشكلت الغربة حنينا لوطنه الذي هو جزء من الامة العربية مما جعله مشتاقا احر الشوق لكل ما هو عربي .

اتجاهات اخرى في شعره

له قصائد وصفية ، كما تشيع الحكمة في ابياتـه .

وفي (ما شاء ربك كان) نلمس ايقاعا شعريا سريعا . يقول مخاطبا نفسه :

خضت التجارة والقريـض معا ... بحريـن كـل زاخـر طـامي
فقضيت عمرك في العباب ولم ... تطفيء غليـل فـؤادك الظامي
لو لم تكـن بالرزق مشتغـلا ... مـا جاز شوطـك اي عـوام
ولكان بحرك موجه ذهـب ... لو كنت للشعراء لم تنضـم

مـا شـاء ربـك كان لا تنـدم

وفي شعر الرثاء ، ينظم العديد من القصائد ، اغلبها يكون مجالا لعرض مآثر الفقيد ، مما الفناه في قصائد الرثاء التقليدية . وقلة قليلة نحس فيها فجيعة المصاب ، والم الفراق ، مثال ذلك رثاء الشاعر حسني غراب :

عاصيك اصبـح مشتاقا لبلبلـه ... الشادي وبلبله تحت الثرى اضطجعا
وراح يشرق بالغصات حـين درى ... بما جرى والى ميماسه فزعـا
وناشد الطير ان تاتي معزيـة ... فقالت الطير في الخطب الذي وقعا
من المعزي على فقـد الحبيب ومن ... ترى المعزى وفيـه كلنا فجعـا

وفي قصيدة (يا صخر) يرثي اخاه بأبيات تنطق بما يكابده ؛ عاقدا مقارنة بينه وبين الخنساء :

اني لمن يرثي البدور ، فكيف اسكت عن رثاكا
قالوا انا خنساء عصري ، يا اخي هنيء اخاكا
والله مـا الخنساء ابكى من اخيك وقـد بكاكا

ويقول :

يا صخر انك قـد قسـوت فكيف لا ادعوك صخـرا
ولقـد مضيـت ببارد في اضلـعي وتركـت جمرا

ويعد البيتان الاخيران من اجود ما قال الشاعـر واصدقه .

ملاحظتـــان

من الهنات التي انزلق فيها الشاعر ، تلك المبالغـة التي قد تمجها النفس . ومن المبالغات التي تردى فيها ، انقل هذين البيتين من قصيدة (سلام الليل يا ليل) :

علونـا للثريـات وقاربنـا الالاهـات
ضمنـا العالم الاتي وخلدنـا نجاوانـا

وكلمة « الالاهات » جمع « الالهة » .. مما يتنافى مع الاديان السماوية . علاوة على المبالغة الزائدة عن الحد في التعبير عن « العلو » بقوله « وقاربنا الالاهات » .

اما الملاحظة الثانية ، فتتعلق بما قد نجده من ثقل في شعره ، وما اغنى الشاعر عن هذا ، وهو مرتبط باختيار الكلمات المناسبة ، المتسقة ببعضها البعض . وهذا الثقل يبعد الشعر عن السلاسة التي هي من سمات الشعـر الجيد . مثال ذلك قوله في قصيدة (لبيك نور المسلمين):

كـل صراط مستقيم للفـتى ... مـا زال غير الخير لا يترسم

والثقل نلحظه في « غير الخير » ، فحرفا الغين والخاء حلقيتان ، احدثا ثقلا في النطق . كما ان « لا » النافية ،



انتشار السَّنا

« قيلت على لسان شاعرة عفيفة »

شجبت حبا يسوم النفس موبقة ... يزري به غرض يدني من العدم
رؤاه تذهلني .. ان تم مقصده ... ابهو مطاطئة.. ادنى.. الى الصنم
نفسي الابية .. ما ذلت نوازعها ... الا لخالقها المعبود ذي العظم
وما ارتضت وطرا للنفس تفنمه ... الا انتشار السنا يجلو دجى الظلم
نفرت معرضة ، عمن يعابثها ... حتى الوذ بها ، في قمة القمم
حيث التسامي بوادي الطهر شامخة ... لا ارتضي عوجا .. او عثرة القدم

وما الحياة سوى ذكرى نعيش بها ... ومبدئي شرف ، ينأى عن التهم
من التقى قدري ، دنيا وآخرة ... حتى نأيت عن المأفون والفدم
ولست آسفة ، ان فاتني .. امل ... به تلاحقني .. نفس لذي الشيم
سبحان من رسم الاقدار.. وزعها ... كما يشاء ، نصيبا خط بالقلم

مصر الجديدة

نعمت عامر

اتت بعد « غير » في الشطر الثاني . والاكثار من النفي قد يصرف المعنى عن الاذهان .

على ان ملاحظاتنا العابرة لاتمنعنا من الاشادة بشعره والتنويه بشاعريته ، التي برزت في القصص الرمزي ، وفي الاتجاه القومي الوحدوي .. حتى ان هاتين الخصيصتين طغتا على اية خصائص اخرى ، وشكلتا ـ فيما ارى ـ شخصية شاعرنا المهجري الراحل ، ميشال مغربي .

القاهرة

حسني سيد لبيب



هيرمان هيس

هس الروائي والشاعر الألماني

١٨٧٧ – ١٩٦٢

بقلم الانسة مؤمنة العوف

* * *

هيرمان هيس كاتب الماني ، ولد في مدينة كالو على حدود الغابة السوداء جنوبي غربي المانيا ، كان ذلك عام ١٨٧٧ ، اكتسب هيس شهرة بين الغربيين وخاصة الاميركيين ، واستولى على خيال الناس من كل الاعمار واستحوذ على محبتهم . ولان الانسان الغربي يتأثر تأثرا عميقا بالشرق ، وبصوفيته ، وبثقافته ، وبمقدساته ، كان هيس بما هو عليه من نفاذ روحي مفعم بالحيوية ، يمثل الايمان بقدسية الحياة الفردية ، وبانها يجب ان تصان من وسائل العالم الحديث ومن قبليته .

قد يكون تعلق الغربيين بالمفكر والروائي الالماني دليلا على ان هناك قاسما مشتركا بين الناس في اية ارض حلوا، وان لا انفصام بين الانسان واخيه الانسان سواء كان شرقيا ام غربيا ، اسود كان او ابيض .

واذا كان هيس قد انحدر من بيئة دينية حيث كان يفترض ان يصبح رجل دين ، الا انه كان يعاني من ازمة روحية حاول بعدها الانتحار وفر على اثر المحاولة من معهد مولبرون عام ١٨٩٢ . وحين طرد من المدرسة الثانوية عمل في دكان لبيع الكتب عده سنوات ، وهي وظيفة يمارسها عادة المؤلفون الناشئون في المانيا .

وازمة هيس الروحية لم تمر مرورا عابرا بل انعكست اثارها في كثير مما كتبه ، وقد تكون معاناته الروحية هي نوع مما يعانيه الفنان ذو الروح المتوثب دوما للخلق والابداع .

هذا الكاتب لم تقتصر موهبته على كتابة الرواية بل كتب الشعر ايضا . يقول جيمس رايت ، الشاعر الاميركي المعروف والذي كان اول من عرف الاميركيين بهيس الشاعر حيث قام بترجمة ما يربو على ثلاثين قصيدة له واصدرها في مجموعة صغيرة بعنوان : « قصائد من هيرمان هيس » يقول ان المجلد السابع من اعمال هيس المطبوعة يضم حوالي ٤٨٠ صفحة من القصائد . بعضها فائقة الجمال وينطبق عليها قول القائل بان القصيدة القصيرة والجميلة تعطي من التأثير والعمق ما تعطيه رواية كاملة جيدة . وقد كان الحنين الى الوطن هو الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله معظم قصائده .

اما في عالم الرواية فقد نشر هيس اولى رواياته عام ١٩٠٤ واسمها : بيتر كامينزند ، وهي تحكي قصة كاتب ناشىء ترك قريته الجبلية السويسرية ليكتشف العالم . بعد ذلك اصدر رواية « تحت العجلات » ، وهي قصة مراهق موهوب الا ان موهبته لم تستطع ان ترقى الى ما كان يؤمله منه والده واساتذته ، مما ادى الى انهياره . يحاول هيس في هذه الرواية انتقاد نظام التعليم في زمانه .

وعندما وقعت الحرب العالمية الاولى تسببت بصدمة قوية لهيس دعته الى الانضمام لنشاطات رومان رولان ضد الحرب ولم يقتصر نشاط الكاتب على اصدار روايات وكراسات ضد الحرب بل تجاوز ذلك الى تحرير صحف اسرى الحرب في المانيا .

خلال هذه الفترة تحطم زواج هيس الاول وقد انعكس ذلك ونوقش بصراحة في روايتيه : « نولب ، وروزالد » . في روزالد نرى ان جوهان فيراغوث بطل الرواية وهو الرسام الذي اصاب حظا واسعا من الشهرة والانتشار في جميع انحاء اوروبا يعيش عيشة ناسك زاهد في عزبته المسماة روزالد حيث يقوم في وسطها قصر جميل احتلته زوجته وولداه ، اما جوهان فقد ابتنى لنفسه جناحا صغيرا في جانب منعزل من العزبة يضم مرسما وغرفتين واحدة للنوم واخرى للجلوس ، عاش في

جناحه هذا ليلا ونهارا ، وكانت حياته خالية من اية لمسة حنان ، يغرق كآبته في لوحاته وتعشش في انفه رائحة الالوان وزيت التوربانتين . وقد كان من وقت لآخر يتناول طعام الفداء او العشاء مع العائلة في القصر بينما زوجته امضت سبع سنوات لم تطأ قدماها ذلك الجناح المعزول ولم تعرف شيئا عن اعمال زوجها الفنية . كان بيبر طفلهما الصغير هو همزة الوصل الوحيدة بين الزوجين ، وكان هو الوحيد الذي ينتقل بين القصر والمرسم بحرية تامة دونما حرج ودون ان يلاحظ الجفاء بين ابويه . لقد كان هذا الابن هو الحب الوحيد والكبير في حياة ابيه ، وعاطفته نحوه وخوفه من فقده هو الذي امسكه عن الانفصال النهائي عن زوجته . الى ان جاء ذات صيف اوتوبوركهارت ، صديق الفنان الوحيد منذ ايام الطفولة والصبا ، فيحمله على مواجهة نفسه ويدعوه الى ان يحيا حياة سوية . ويغريه بالسفر معه الى الهند آخر الصيف . وعندما يتخذ جوهان قراره ويخبر زوجته بعزمه على السفر ، وبانه سيترك لها كل شيء ، القصر والعزبة والولدين ، حتى بيبر ابنه الصغير الذي كان يشده للبقاء استغنى عنه مقابل استعادة نفسه وحياته الضائعة . ولكن الصبي يصاب بالتهاب السحايا ويموت دون ان يعرف شيئا عن عزم ابيه على السفر . بينما الام في اثناء مرض الصبي ودون ان تعرف انه سيموت تبلغ الاب بانها سوف تتنازل عن الصبي وتعطيه له ويبدو ذلك تضحية منها او هدية تذكارية وقد تكون اعترافا اخيرا بشيء من العاطفة نحو زوجها . ولكن كل ذلك جاء بعد فوات الاوان . وتخلو روزالد اخيرا من ساكنيها . الطفل الصغير يموت ، الام والابن الاكبر البرت يغادران المدينة . وكذلك الاب يسافر الى الهند . هذا هو ملخص القصة التي صور فيها هيس قصة انهيار زواجه الاول والكاتب في تلك الاثناء اي في فترة الحرب الاولى ايضا خضع للتحليل النفسي الذي اجراه عليه عالم النفس السويسري كارل غوستاف يونغ (١٨٧٥ – ١٩٦١) . ولكن دون فائدة ودخل المصحة بعض الوقت .

عام ١٩١٩ انتقل الى سويسرا ليعيش بصورة دائمة وهناك اصدر رواية دميان وفيها اعتمد طريقة فرويد في التحليل النفسي الذي كان قد درس منهجه في وقت سابق . وقد لقي هذا الكتاب نجاحا هائلا اكسب الكاتب شهرة في كل انحاء اوروبا .

بعد ذلك وجه الكاتب عنايته للشرق الذي زاره عدة مرات قبل الحرب فكتب سيدهارتا عام ١٩٢٢ وهي عبارة عن قصة بحث روحي طويل يعانيه شاب هندي في سبيل معرفة دور الانسان على الارض والعثور على حل لهذا اللغز .

وفي روايته التالية التي اصدرها عام ١٩٢٧ يتابع التوغل في الذات الانسانية فيكتب ستيبنوولف او ذئب البراري ، وهي قصة رجل ممزق بين فرديته وميله للقناعات البورجوازية . فهي تصور صراعه بين اثبات الذات وتدمير الذات .

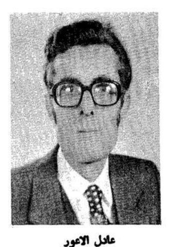
ولم يمض وقت طويل حتى اصدر روايته نارسيس وغولدمند في عام ١٩٣٠ هذه الرواية التي توجت هيس روائيا عظيما حسب تعبير النيويورك تايمز . وهي استمرار لخطه الديني الفلسفي حيث يصور الصداقة بين كاهنين من القرون الوسطى احدهما مطمئن الى الدين والاخر يطوف الى ما لا نهاية باحثا عن الطمأنينة والخلاص

وبعد ذلك أصدر روايته : رحلة الى الشرق عام ١٩٣٢ ومن ثم لم يصدر له اية رواية حتى عام ١٩٤٣ حيث كتب ماجستر لودي او لعبة السبحة الزجاجية كما سميت في الترجمة الانكليزية . حيث نال بها جائزة نوبل للاداب عام ١٩٤٦ . بعد ذلك اعتزل في بلدة مونتاغنولا في سويسرا الى ان مات عام ١٩٦٢ .

نلاحظ ان ابطاله هم غالبا من ذوي الحساسية المفرطة . والمشكلات التي يعانونها هي تلك التي يعاني منها عادة الفنانون والمفكرون ورجال الدين ، التوتر والقلق والبحث عن الذات . هذه المشكلات التي نشأت عن طغيان الحضارة الاوروبية ونتيجة لسيطرة الآلة وما رافقها من فراغ روحي. هذا النوع من المشكلات يختلف عن مشكلات الانسان الشرقي الذي ما زال يعمل جاهدا للتخلص من كابوس الفقر والجهل والمرض ، هذه الاقانيم الثلاثة التي تسقط اي انسان من برجه العاجي . وعندما ينجح الانسان الشرقي في تخطي هذا الكابوس يبقى في النهاية هو جملة هذه القيم والمشاعر التي تعتوره . ويبقى نتيجة قناعات معينة تدور كلها حول الحق والخير والجمال .. حول الايمان والحب والاخلاص او ما يناقضها جميعا . قد تتغير الاغراض ولكن جوهر هذه القيم لا يتغير .

كلمة اخيرة لا بد منها وهي ان كثيرا من الاقوال تشيع بين الناس ويتداولونها وكأنها حقائق مسلم بها . ومن ثم هم يرغبون عن اعادة التفكير بها للتحقق من صحتها ومدى مطابقتها للواقع . من هذه الاقوال عبارة : « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » معتبرين بذلك ولعلهم مخطئون ، ان الانسان هو غير الانسان في مشارق الارض ومغاربها .

مؤمنة العوف



عادل الاعور

مع الأدب والثقافة والأديب

بقلم عادل الاعور

* * *

لعل ان من هو في مثل سني ، الثامنة والاربعين ، فانا من مواليد ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٣٤ ، لا يبدأ بكتابة سيرته.

مسقط راسي هو قرية جبلية ، ومصيف مقصود . ارتفعت فيه البنايات (والفيلات) ذات التصاميم الهندسية الحديثة والمتنوعة ، واستقطبت من هم من خارجها ، قبل اصحابها ، ليتملكوا فيها الاراضي .

تدعى (قبَيع) وهي تقع في المتن الجنوبي الاعلى من جبل لبنان .

ارتحلت ، بعد دراستي في مدرسة قرية مجاورة ، الى مصيف عاليه المشهور ، فالتحقت بمدرسة « الجامعة الوطنية » . وتتلمذت ، في مجال الادب العربي ، على يد الاديب الكبير الراحل ابي محمد مارون عبود .

وبعد انتهاء دراستي هناك ، والتي دامت خمس سنوات ،التحقت بجامعة القديس يوسف في بيروت ، للتخصص في الادب العربي ، وسكنت عاصمة لبنان ، درة الشرق ، ولؤلؤة المتوسط ، وام المدائن ... في السابق ، طبعا !..

في البداية ، عملت في التدريس فترة قصيرة . ثم تحولت ، عن هواية واحتراف ، الى ميدان الصحافة ومارست الادب ، وما ازال .

متزوج ولي ولدان : شاب هو رائد ، يتابع دراسته في بريطانيا . وابنة « شاطرة » هي دانية . ولها من العمر اثنا عشر عاما ، وهي في (البريفيه) . جميلة . لطيفة . دمثة الاخلاق . مواظبة . بحيث استطاعت في هذه السن المبكرة ان تترفع الى صف لا يتناسب مع عمرها الصغير . ومع ذلك فهي من المتفوقات المجليات .

وفي حياتي الصحفية تعرضت « لظروف قاسية وصعبة جدا » ، لا مجال للخوض في تفاصيلها هنا . ضمنتها في كتابي بعنوان : « عادل الاعور يفتح النار على .. » عام ١٩٧٤ .

وتناوله ادباء كبار بالتعريف والمعالجة، امثال الدكتور فوزي عطوي الكاتب الشاعر اللبناني ، والاديب الشاعر المغربي القمري الحسين ، في مجلة « الاديب » الزاهرة ، بالاضافة الى صحف ومجلات مغربية . جاءتني على اثرها اكثر من رسالة يطلب اصحابها نسخة من الكتاب . منهم الشاعر المغربي محمد علي الرباوي .

لقد نازلت الكثيرين من الزملاء الصحافيين والساسة – ولا فخر – في لبنان والعالم العربي ، وخاصة في مصر ، بشخص رئيس تحرير جريدة « الاهرام » القاهرية سابقا، الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل .

وما ازال اذكر انني كتبت تعليقا نشر يوم الثلاثاء ، فرد الاستاذ هيكل في مقاله الاسبوعي الذي كان ينشر في « الاهرام » يوم الجمعة ، من نفس الاسبوع . (راجع الاهرام العدد ٢٨٤١٣ تاريخ ٢٥ سبتمبر ايلول ١٩٦٤ . والعدد ٢٨٥٢٩ – ٢٩ يناير كانون الثاني ١٩٦٥) .

وعود على بدء نقول :

منذ باشرت مراسلة الصحف في بيروت ، كانت مقالاتي مهما تنوعت ، من ادبية وسياسية ، تنشر كاملة ودون اي تعديل .

ولعل من الطريف انني كتبت مقالا ، وانا في الخامسة عشرة من عمري ، نشرته صحيفة يومية في مكان بارز . وحين تقدمت ، بنفسي ، بمقال ثان الى الصحيفة ، سألني رئيس تحريرها :

– كم عمرك ؟ وماذا تفعل ؟

وكان عجبه شديدا لحظة عرف حقيقة عمري ، واني ما زلت على مقعد الدراسة .

ثم اصدرت ، في الحادية والعشرين من عمري ، مجموعة قصصية بعنوان : « نذير العاصفة » ، لقيت رواجا لاسباب مؤاتية ساعدتها . وقد كتب الاديب الكبير الراحل مارون عبود ، بعد ان بعثت اليه برسالة اذكره فيها بوعده ان يكتب في مجلة اسبوعية ، كان يزودها بمقالاته بشكل منتظم ، عن مجموعتي القصصية ، يقول :

« لم اقل كلمتي في كتابك (نذير العاصفة) اغفالا واخلالا ، ولكنني فتشت عنها فما وجدتها هنا في عاليه ، ولعلها في عين كفاع ، وبما انك طبعتها ثانية فلا بأس اذا

ارسلت لي نسخة منها .

اما روايتك الطويلة فانا مستعد للاطلاع على القسم المكتوب منها والذي سيكتب .

انت تعلم انني احب تلاميذي حبا جما ، والان قد عوفيت ، عافاك الله وسلمت لمعلمك : مارون ٩-٣-٩٥٦ »

وفي مناسبة اخرى ، كتب ابو محمد هذه الكلمة التعريفية القصيرة عنها وعني :

« انا مارون عبود مدير مدرسة الجامعة الوطنية في عاليه ، واستاذ الادب العربي فيها ، اشهد ان السيد عادل الاعور قد انهى دروس الصف الخامس الثانوي ، وكان في اللغة العربية وآدابها متفوقا في صفه ، فوثقت له بالنجاح في علم الكتابة. وتحققت ثقتي حين اصدر مجموعة اقاصيص طريفة دلت على حسه المرهف وذوقه الفني .
عاليه في ٢٣-٦-١٩٥٦ - مارون عبود - مدير الجامعة الوطنية »

ثم تشجعت ، على اثر ذلك ، واخذت اراسل كبريات المجلات الثقافية في لبنان والخارج ، وعلى راسها وسيدتها هذه « الاديب » و « الرسالة » الزاهرة ، التي كانت تصدر عن معهد الرسل في جونيه - لبنان ، و « الحكمة » البيروتية وفي الخارج « الفكر » التونسية ، ومجلة صدرت في باريس فترة ، باللغة العربية ، وكتبت نقدا وتقييما لـ « نذير العاصفة » لا يحضرني اسمها الان.

ولقيت مرة المعلم بطرس البستاني الثاني (استاذ الادب العربي في مدرسة الحكمة سابقا) في دار المكشوف بحضور صاحبها الاديب الراحل فؤاد حبيش ، والكاتب جورج مصروعة ، فقال لي المعلم الراحل بطرس ، بعد التعارف :

- اهلا ، استاذ عادل . انا اقرا لك في مجلة «الحكمة» اسلوبك سلس . وادبك يبشر بعطاء جيد .

واذكر ان الاديب الساخر الراحل سعيد تقي الدين، وهو المعروف بشغفه بابتكار تعابير معبرة ، كنعته هؤلاء الذين يزحفون على أبواب الوزارات، مثلا، «بالزحفطونيين» (الزاحفين على البطون) . والذين نرى من امثالهم عينات منتقاة كل يوم وفي كل مناسبة وموسم ، قال لي ، حين لقيته في منزله في راس بيروت ، بعد دعوته لي ، وقد اهديته « نذير العاصفة » قبل ذلك :

- ان فيك بذرة العظمة ، فعليك ان تصقلها وتنميها.
فلم اتمالك نفسي من الضحك .

وعرف السبب على الفور . فقد استقبلني « بالشورت » ..

وكانت أولى خطواتي الادبية الواثقة اذن على صفحات « الاديب » الغراء عام ١٩٥٥ . هذه السيدة الاربعينية ، الان ، المتلئة صحة ونشاطا ، الوردة الخدين ، الرافلة بالعافية ، الحاملة في اذنيها اقراط اللؤلؤ والياقوت .. والتي انجبت الاف الادباء والشعراء والباحثين العرب ، طوال عمرها ، وهي بعد في عز الشباب ، ولم يمسسها بشر !..

وذلك بفضل منشئها وسيدها وحاميها ، بهمة الشباب ، رغم العمر الطويل والمديد باذن الله . والذي افنى عمره كله ، وثروته المادية كلها ، وضوء عينيه كله ، لتبقى محافظة على شبابها المجلو كالعروس ، الجميل كجمال الادب والشعر الذي تحمل وتزود به قراء العربية، على مدار الفصول والسنين ، اعني به الاستاذ الكبير البر اديب .

واذا كان الاستاذ عجاج نويهض قد طالب في عدد يناير وفبراير ١٩٨٢ ، بمساعدة « بترولية » « للاديب » ، فعسى ان تلقى هذه المطالبة آذانا صاغية من اي طرف نافذ وفاعل يقرا ويعطي من يستحق العطاء ، مثل غيره ، أن لم تكن له الاسبقية .

واذا كنا نسمع ونقرا ، ان هذه الدولة البترولية او تلك ، قد منحت مؤسسة اجتماعية مبلغا ما ، فهي مشكورة ، ولا شك ، على هذا الصنيع .

لكن : الا تستحق منشأة ادبية كبرى « كالاديب » فيها غذاء العقول والقلوب مثل هذه المساعدة ؟

واذا كان العرب بحاجة الى شيء ، في زمننا الحاضر، فهو الاكثار والاكتناز ، ليس من شعر المديح والفخر او الهجاء ، فتاريخهم الادبي ، على امتداده ، مليء وحافل بذلك .

انهم بحاجة الى ادب جاد ، وشعر نظيف ، لا يمالىء في الحق ، ولا يحابي ، ولا يداري .

ففي مساعدة المؤسسات الثقافية ، التي اثبتت جدارتها بالبقاء والاستمرار ، فليتبار المتبارون ، وليعرف كيف يغدق واين اصحاب الايادي البيضاء والاريحية ...

بل اين جامعة الدول العربية لا تتحرك ؟.

ان « الاديب » قلعة من قلاع الفكر ، ويجب ان تتضافر عوامل الصمود لها. ففي صمودها مجال استمرار للعطاء الادبي الرفيع المستوى . لتبقى رمزا من رموزنا الثقافية الكبرى ، وعنوانا من عناوين حضارتنا المعاصرة .

ولتبق الكلمة النظيفة خفاقة ، مرفرفة الاجنحة في الاعالي .

.. وحتى لا يقال ان العرب اعطوا كل شيء ، ولم يعطوا « شيئا » ، او يضعوه في موضعه المناسب .

هذا بعض حديث الادب والصحافة ، وما يتخللهما من حلاوة ومرارة الذكريات ، عبر المسيرة المضنية التي كتبت علينا ، حتى الان !.

عادل الاعور



سعيد ابو الحسن

نيران على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

\- ٨ -

ما وراء التاريخ

غير انني افكر الان في تلك المعركة البطولية واسأل نفسي : هل كانت هذه المعركة نتيجة تدبير خبيث ؟ لقد كان الفرنسيون يتوقعون مثل هذا الهجوم، كما يظهر من اقوال كتابهم ، فهل كان توقعهم من قبيل الاستنتاجات العامة ام كان نتيجة مسعى لجر الثائرين الى كمين مميت ؟ من يستطيع ان يجزم بذلك ؟ ما يمكن قوله - بكل تأكيد - هو ان اي قائد ثورة يدرك حدود المسؤولية ، ويدرك معنى الاقتصاد بحياة رجاله ، ومعنى احداث اكبر هزة ممكنة لدى العدو بأقل خسارة ممكنة من الثائرين ، ومعنى ان استمرار اشتعال الثورة اهم من احتراقها السريع المتوهج، ما كان ليقدم على مهاجمة موقع كموقع المسيفرة . ولكن.. نحن كنا وما نزال نقاتل بروح القبيلة ، وعادات القبيلة ، وغباء القبيلة . هذا مع اعتزازي بالبطولة الفذة التي برهن عليها مقاتلونا في معركة المسيفرة ، تلك البطولة التي شهد بها الاعداء انفسهم في كتاباتهم (يراجع لطفا ما نقله الاستاذ سلامة عبيد عن دوتي ، مؤلف كتاب «الفرقة الجهنمية»)، ان الهجوم الذي يصفه دوتي لا يقل روعة عن اعنف هجوم تقوم به فرقة من اعظم جيش في العالم . المهاجم الذي لا يموت الا وهو ممسك بجدار خندق عدوه ، او الذي يموت واقفا ، كما يقول دوتي . ولكنني افكر الان في الصورة التي كانت ستكون عليها الثورة ، لولا خسارتنا الجسيمة بالرجال في المسيفرة . هؤلاء الذين قتلوا في المسيفرة كانوا قادرين وحدهم على خوض معارك عديدة عندما يتقدم الجيش نحو الجبل ويدخل ارضنا الوعرة ، وكانت الثورة ستستمر ، ومع شيء من حسن السياسة والتدبير ، كانت ستعم البلاد ، وكان الجلاء قد تم عام ١٩٢٦ او ١٩٢٧ بدلا من عام ١٩٤٦ . ذلك ان الذين قتلوا في المسيفرة كانوا من خيرة المقاتلين ، كانوا من الطلائع ..

لقد اسهبت في الجمل الاعتراضية. فلاعد الى سياق حديثي . بعد الذي سمعناه من حسن صيموعة ، بعد رجوع خالي الاثنين وبكل منهما بعض الجراح البسيطة ، بعد معرفة اسماء القتلى والجرحى ، خيم على قريتنا جو من الكآبة الخرساء : كل يبكي فقيده ، ولكنه يبكيه صامتا ، راضيا مسلما ، يبكيه مفتخرا ، رافعا رأسه ، لان الشهيد لا يجوز ان تقام عليه المناحات ، ولا يجوز ان ينظر الى موته خلافا لما ينظر الى عرسه : عرسه عرس الحياة الدنيا ، واستشهاده عرس المجد والخلود . وصعب على الناس ما سمعوه من قيام الفرنسيين باحراق جثث الشهداء : يا للمحرقة المقدسة ! اكثر من ثلاثمائة شهيد بينهم الجرحى الذين أجهز عليهم البرابرة يحرقون هكذا ولا يجدون من يتولى مواراتهم الترا ب! صعب ذلك على الناس . ولكن تسارع الحوادث لم يترك مجالا للتفكير ، والتأمل ، وتغذية الاحساس وانمائه ..

فبعد اقل من اسبوع بدا الزحف على الجبل . بدا الزحف على السويداء بقصد انقاذ حامية القلعة وعبر معارك قاسية ، وضروب من البطولات الاسطورية لثوارنا، تمكن الجيش من دخول السويداء وانقاذ حامية القلعة .

ولكنه ، بدلا من البقاء فيها ، كما كان يظن ، انسحب وغادر الجبل . كان يقوده الجنرال غاملان ، احد ابطال الحرب العالمية الاولى ، انسحب لانه ، بدخوله ، فقد الكثير من رجاله وفقد ما هو اهم من ذلك - من الناحية التعبوية - فقد قافلة امداده من سيارات وحيوانات . ولم يكن قادرا على تأمين خطوط تموينه بين أزرع والسويداء او المسيفرة

والسويداء ، لان الارض ما تزال بيد الثوار وما زالوا يمسكون بزمام المبادرة .

بعد بضعة ايام عاد الجيش يحاول غزو الجبل فحدثت معركة (عرى ورساس) الاولى . كانت معركة ضارية ابلى فيها محاربونا بلاء حسنا . فهم ، حينما تكون المعركة في ارض مكشوفة ، خارج الاسوار والحصون والتحصينات ، لا يجاريهم احد في فنون الكر والفر وايقاع الاصابات بالعدو . اذكر اني كنت اتابع سير المعركة بالسماع فاقول : انهم يتجهون شمالا – ثم : انهم ينحرفون غربا – ثم : انهم يتجمدون مكانهم . وكانت المعركة بالفعل – كما تبين بعد ما عاد المقاتلون ورووا تفاصيلها لنا – قد تحركت بهذه الاتجاهات واوقعت بالعدو خسائر فادحة . فقد استولى مقاتلونا على الكثير من السلاح والذخيرة . وارتفعت ، يومها ، اسهم رجال الدين ، الذين تشبثوا بأرض وعرة ، ولم تستطع قوة العدو المتفوقة ان تزحزحهم من متاريسهم بل ارتدت خاسرة خاسئة ، تاركة وراءها العديد من القتلى . وخسرنا عددا اخر من الشهداء . وانسحب الجيش بطريق المزرعة . وبذلك اصبح الجبل بكامله محررا تحريرا كاملا ، وسيبقى كذلك نحو ستة اشهر . ولا يفوتني هنا ان اصف حال نساء القرية ، ابان مثل هذه المعارك ، التي كنا نسمع دوي مدافعها من بعيد ولا نعرف كيف تدور ، وماذا يجري فيها . كنت ارى عددا من النساء يتجمعن ، غربي القرية ، في فيء الجدار الغربي للقرية ، وهن يتبادلن الاحاديث والتعليقات ، ويدعين للثوار بالنصر . ان اقبلت عليهن امرأة تحمل جرة ملآنة قلن :

– ملانة بعون الله ! النصر لنا ان شاء الله !

وان مرت بهن امرأة تحمل جرة فارغة ، وهي ذاهبة لتملاها ، قلن :

– كفانا الله شر الجرة الفارغة ! فال الله ولا فالك !

وان قالت احداهن انها رأت رجلا قادرا على القتال متخلفا في القرية ، اطلقن عبارات الاستنكار ونعتن الرجل بالجبن والخنوع ، وحملن عليه حملة شعواء ، وشكلن وفدا منهن لتوبيخ الرجل وارساله الى القتال او اخراجه من القرية – على الاقل – . وكانت احداهن تقوم باعمال حسابية بالبحص (الحصى) وتترجم الخمسات والسبعات الى تنبؤات بالنصر او الهزيمة .

كنت معجبا بالحزن الممزوج بالكبرياء ، او بالكبرياء الحزينة ، معجبا بالدموع غير المرئية تخبئها القلوب الكبيرة الصابرة ، المفكرة في النصر والشرف ، اكثر من تفكيرها في الراحة والسلامة .

لقد جلت الجيوش عن الجبل ولكن الغارات الجوية لم تنقطع . وفي هذه الاونة ، ومنذ قيام الثورة ، انقطعنا عن المدارس . ويا ليت الامر اقتصر على ذلك . فلقد جاءنا معلم شيخ مشهور بتدريس الديانة . ولعدم وجود مدرسة اخرى التحقت بمدرسته مكرها . واول شروطها ان نحلق شعر رؤوسنا ، فحلقناه . وكان من حسنات الكوفية البيضاء ان تغطي هذا المنظر المجافي للجمال ، منظر الراس الحليق . وكان الشيخ مثالا للسماجة والجبن . فقد كان لا يدرك اي معنى للمسؤولية : فاذا سمع هدير الطائرات اسرع بالخروج هاربا ، باحثا عن ملجأ ، تاركا تلاميذه في فوضى ورعب جماعي ، غير منتظر – على الاقل – ان يخرجوا قبله . ولم يكن احد في القرية اشد خوفا منه غير بيطار دمشقي كان يرى ، كلما اقتربت الطائرة ، وهو يركض خارجا من القرية الى البيادر والكروم وهو يصيح : « يا حفيظ – يا حفيظ ! » وكان مشهورا عن هذا البيطار انه كان يحدث عن شجاعة والده فيصفه بكل صفات البطولة . وحينما يسألونه : « كيف مات ؟ » كان يجيب: « مات بالخريعة » اي خوفا .

ولنعد الى معلمنا الشيخ المحترم . لقد كان يلبس عباءة فضفاضة وعمامة بيضاء ضخمة . وعباه كانا ابدا منتفخين ، محشوين بصرر الملبس ، والزبيب ، والقضامة، الى جانب المناديل الكبيرة لتتسع لمخاطه الذي لا ينضب . كان في فمه ابدا شيء ما يمتصه او يمضغه . وكان مكويا في اسفل ساقيه ، فكان يبدل ضماد الكي وحبات الحمص منه امام التلاميذ . وكان هذا المنظر يؤلمني ، ويصيبني بالقرف والغثيان . والحسنة الوحيدة التي اذكرها له هي انه احدث في نفسي رد الفعل الشافي من التأثر بالمظاهر ، وعدم الانخداع بها . فما كل من لبس العمامة شيخ ، ولا كل من تعلم اصبح مثقفا ، وان الذوق السليم اهم من العلم والتقوى ، ولا قيمة لهما من دونه . هذا الى جانب حسنة اخرى افدت منها ، وهي انه كان يعرف قواعد اللغة العربية معرفة جيدة . وقد بدات انظم الشعر في عهده . واذكر ان اول ابيات موزونة نظمتها كانت عن الثعلب والعنب (القصة المشهورة) وما زلت اذكر منها هذه الابيات الثلاثة :

ثعلب بين الكروم ... طالب الاكل يحوم
شاهد العنقود في ... رفعة مثل النجوم
فاتاه مسرعا ... اكلة منه يروم ..

وهكذا اكون قد بدات انظم الشعر وانا في الثالثة عشرة من عمري .

بعد خروج الجيش من الجبل خريف ١٩٢٥ ، تحرك الثوار باتجاه الغوطة لدعم الثورة هناك . وفي هذه الاثناء، وفي احدى الليالي شوهدت النار موقدة تتأجج على قمة القليب (اعلى قمة في جبلنا) ، وقد اوقدت جوابا لنار كبرى كانت قد شوهدت على قمة جبل الشيخ . لقد كان هذا اعلاما باشتعال الثورة في المناطق المحيطة بجبل الشيخ ، في وادي التيم واقليم البلان – واسرع اهالي الجبل لنجدة الثائرين ، ونقل النازحين منهم الى داخل

الفنّان الأعظم

لو صاغ وجهك فنان بلوحته	لمجدت فنه الاجيال والامم
فكيف من صاغه حيا وسلحه	بالسحر والحب يكوينا ويبتسم
من حسن باريك هذا الحسن المحه	بهاؤه في دنا عينيك يسفحه
لو كان غير جميل ما حباك به	ففاقد الشيء حتما ليس يمنحه

السعودية — علي دمر

الجبل . وشاهدت مواكب هؤلاء اللاجئين : شاهدت رجالهم يحملون بنادق انكليزية ذات سبطانة حديدها سميك (مضاعف) ، وكانوا يسمونها — لهذا السبب — « ام حديدين » ، وكانوا يسوقون أمامهم قطعان ماشيتهم من غنم وماعز وبقر . ازياء نسائهم كأزياء نسائنا : اللباس الاسود الطويل والفوطة البيضاء فوق الراس ، ولكن بدون شكات الذهب ألتي تعلو الجبين . اما رجالهم فكانوا يرتدون الكوفية بدون عقال — او يرتدون العمامة . ولبس العقال بينهم نادر . ويختلف رجالهم عن رجالنا بانهم يتولون رعاية قطعانهم بأنفسهم ، بينما نحن في الجبل قطعنا هذه المرحلة واوكلنا امر الرعاية الى البدو الشركاء — كما ذكرت سابقا .

بات على الجبل ان يقوم بتموين سكانه وتموين اللاجئين اليه ، وكل واحد يدرك مدى هذه الصعوبات ، ولا سيما ان اكثر الرجال القادرين على القيام باعمال الزراعة كانوا يحملون السلاح ويهتمون بالمعارك .

كانت اخبار المعارك الدائرة في الغوطة ، وجبل الشيخ ، واقليم البلان ، وجهات راشيا ، ومرجعيون ، ترد الى الجبل ، يحملها عائدون او جرحى ، ويحملون من جملتها اسماء القتلى ووصف البطولات الخارقة التي ظهرت هناك ، الى جانب الاخطاء الفادحة التي صدرت عن بعض قادة الثورة وبعض الثائرين . وكان هذا يدل على الارتجال وعلى عدم الانضباط ، وفقدان القيادة الواحدة ، المسيطرة الحازمة ، المخططة — آه يا روح القبيلة ! يا اكبر عدو لامتنا العربية ، كم سببت لها من نكبات ونكسات ، ولم تستطع ان تشفي من دائك العضال ، لا في معاركها الاقليمية ولا في معاركها القومية !..

بالنسبة الينا ، نحن الباقين في القرى ، فقد امضينا اخر خريف ١٩٢٥ وشتاء ١٩٢٦ في شبه راحة تامة — لقد بعدت المعارك عنا والغارات الجوية خفت بسبب الطقس ، وامضينا بضعة اشهر ونحن — التلاميذ — يرافقنا معلمنا الشيخ كالكابوس . والقرية كانت في حداد صامت رهيب . اقسى ما كان يصادفني رؤية الارامل والايتام : عندما ادخل بيوت الاقارب التي خلت من الرجال ، كنت اشعر انني ادخل احدى خرائب التاريخ — النساء في لباسهن الاسود ، والعيون المقرحة ، والخدود المجرحة ، من اثار البكاء ، والصراع الداخلي الصبور . والاطفال وهم يسألون عن آبائهم متى سيعودون ، والاجوبة المتحايلة تقطر مرارة ، كل ذلك كان من المزعجات التي تضيق بها الروح ، وتتحطم الاعصاب ..

وفي الشتاء عاد المقاتلون ايضا الى الجبل ، بانتظار الربيع ..

السويداء — سورية — سعيد ابو الحسن



عيسى فتوح

نعمان قساطلي المؤرخ الأديب

بقلم عيسى فتوح

* * *

لم تسعفنا المصادر كثيراً بالوقوف على تفاصيل حياة نعمان قساطلي ، مؤلف كتاب « الروضة الغناء في دمشق الفيحاء » ، فكل ما استطعت ان اعرف عنه انه ولد في دمشق عام ١٨٥٤ في اسرة مثقفة ، وكانت اخته سلمى طبيبة ، تلقت مبادىء الطب في بيروت ، ثم انتقلت الى مصر فنالت شهادة في امراض النساء والتوليد من مدرسة « القصر العيني » سنة ١٩٠٣ ، وترجمت كتاب « نصيحة والدة » عن الفرنسية ، وتنقلت بين دمشق والقاهرة حيث توفيت سنة ١٩١٧ .

واجه نعمان قساطلي قسوة الحياة منذ نعومة اظفاره ، وكاد يذهب ضحية الفتنة الطائفية التي حدثت في دمشق عام ١٨٦٠ ، لكنه اختبأ في احد الافران ، وانقذ بذلك نفسه .

هجر دمشق مع افراد اسرته ، ثم عاد اليها بعد هدوء الاحوال ، وتقلب في الوظائف والعمل الحر ما بين سيناء وطوروس ، وخبر حياة الحضر والبدو على حد سواء ، وكتب في مجلة « الجنان » لبطرس البستاني ، وجريدة « لسان الحال » لخليل سركيس قبل الحرب العالمية الاولى ، ثم انقطع عن الكتابة بعد سنة ١٨٨٣ ، ربما لانشغاله بالوظيفة واعباء الحياة .

قضى شطرا من حياته متصلا بالبيئات المثقفة في دمشق وبيروت ، كما أتصل باللجان العلمية البريطانية، واشتهر في اوساط المتنورين بكتاباته التاريخية القيمة ، وقد توفي في شباط عام ١٩٢٠ .

الف كتاب « الروضة الغناء في دمشق الفيحاء » عام ١٨٧٨ ، ويعتبر بحق اول كتاب في تاريخ دمشق بالمفهوم الحديث للتاريخ ، قسمه الى ثلاثة ابواب ، تحدث في الباب الاول عن جغرافية الشام ، ثم عن موقع دمشق وعدد سكانها ، وتاريخ بنائها الى يوم فتحها المسلمون ، مرورا بعهد الامويين والعباسيين والايوبيين والمغول والعثمانيين .

اما الباب الثاني – وهو الاهم – فقد خصصه للحديث عن اوصاف دمشق ، وكنائسها ، وجوامعها ، واسواقها ، وحماماتها ، ومقاهيها ، وخاناتها ، وفنادقها ، واقسامها ، وابوابها ، وحصونها ، ومياهها ، ومتنزهاتها ، وتربتها ، ونباتاتها ، واشجارها ، وهوائها ..

كما تحدث فيه عن مدارس النصارى والمسلمين واليهود ، وعدد طلابها وطالباتها ، وعن الجمعيات الادبية، والمكتبات ، وعن صناعتها ، وتجارتها ، واطوار اهلها ، ملابسهم ، وعاداتهم وتقاليدهم في الافراح والاتراح ، وختم هذا الباب بالحديث عن محمل الحج الذي كان يسافر الى مكة باحتفال عظيم كل عام ، ويستقبل عند عودته باحتفال اعظم . ويبدو القساطلي دقيقا في اعطائنا صورة صادقة وصحيحة عن دمشق حتى عام ١٨٧٨ ، فهو يحصي لنا مثلا عدد الاغنام التي كانت تذبح يوميا ، ويحدد كذلك مقطوعية المدينة من الحنطة والشعير والذرة ، وعدد المصابن ومعامل النشاء ، ومحلات طبع الاقمشة وحياكتها وصباغتها ، وعدد المشافي والمسالخ والمطابع ، ومتى مد طريق المركبات بين دمشق وبيروت ، ودخل التلغراف ، واصيبت بالهواء الاصفر .

اما الباب الثالث فقد افرده لذكر من مات بدمشق من الصحابة ، والاولياء المقربين واشتهر ضريحه كالشيخ محيي الدين بن عربي ، والشيخ رسلان ، ويختم الكتاب بفصل خاص عن القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين الذين نشأوا في دمشق ، كحنانيا الرسول ، ويوحنا الدمشقي وغيرهما .

لقد الف نعمان قساطلي كتابا آخر اسماه « مرآة

ملء العين والقلب

سالتك بالحب الذي شد بيننا ... فأينع لي عمري ، ونور لي دربي

لماذا الاقي منك صدا وجفوة ... وما لي من ذنب اليك سوى حبي

فان كان ذنبا ذلك الحب فاشهدي ... علي باني لا اتوب من الذنب

ستبقين – رغم البعد – مني قريبة ... لانك ملء العين والفكر والقلب

بغداد – ص ب ٢٢٠٣٨ ... محمد جواد الغبان

سورية وفلسطين » اشار اليه في الروضة الغناء ، لكن الكتاب لم يطبع كما يبدو ، وظل مخطوطا ، ونسب له الدكتور عبد الكريم غرايبة تأليف كتاب « حسر اللثام عن نكبات الشام » .

وكما كان القساطلي مؤرخا ثبتا يشهد له بالدقة والاحاطة ، كذلك كان رائدا من رواد القصة السورية القصيرة ، فقد نشر في مجلة الجنان خلال ثلاث سنوات من عمرها (١٨٨٠ – ١٨٨٢) ثلاث اقاصيص هي : « الفتاة الامينة وامها » و « مرشد وفتنة » و « انيس وانيسة » تعتبر باكورة ادب القصة في سورية ، صور في الاولى احوال مجتمعه وضمنها آراءه (١) في مساوىء التخلف والتقاليد البالية والظلم الاجتماعي وكبت الحرية الشخصية ، واثر الوشاية ، وانشغال النسوة في الثرثرة، وهضم حقوق المراة ، وكل ما من شأنه ان يحول بين شابين متحابين .

وينتقل في القصة الثانية « مرشد وفتنة » من الجو الحضري الى جو البادية ، ومن خلال قصة حب تجمع بين قلبي بطليها مرشد ابن شيخ العرب، وفتنة راعية الغنم البسيطة ، يطوف بنا عالم البداوة الرحب ، فمن ورودهم الماء ، الى تقاليد الضيافة ، الى احكامهم في غزواتهم ، فطرق علاجهم ، فوسائل تحضيرهم للطعام والقهوة ، فأخذهم بالثأر ، تجتمع لدينا خيوط قصة متشابكة الاحداث ، متعددة الشخوص ، تنتهي اخيرا بان يفوز كل محب بحبيبته ، وينال كل شرير جزاء ما جنت يداه « فسبحان من ينصف عباده ، ويأخذ بيد المظلومين من الظالمين » .

ولا تخرج قصته الثالثة « انيس وانيسة » في طريقة بنائها الفني عن سابقتها ، الا انها تختلف عنها من حيث الموضوع الحضري الذي تعالجه، ويدور بين بلودان ودمشق وحمص وبعض الاماكن الاخرى ، وقد حاول فيها وصف اخلاق اهل المدن ، من حيث ميلهم الى الاحتيال والغدر وفساد الحكم ، وحب المغامرة والاسفار ، وعبادة المال والقتل ، واخيرا الحب الذي هو محور الاحداث ومحركها، والسبب الاول والاخير في شقاء القلوب الشابة ، وينتهي فيها الى القول : « من جعل غرضه نصب عينيه ، اذا كان له حق به ، فلا يلبث ان يناله ، ولو بعد طول عناء ، وكثرة عذاب ، وهذا قانون » .

لم تجمع هذه القصص الثلاث في كتاب لتصبح في متناول ايدي الدارسين ومؤرخي الادب ، ولكنها تضعه في طليعة رواد القصة السورية القصيرة ، كما وضعه كتاب الروضة الغناء في طليعة المؤرخين الدمشقيين المشهورين ، كابن طولون ، وابن عساكر وغيرهما .

١ – الحركة الادبية في دمشق (١٨٠٠ – ١٩١٨) للدكتور اسكندر لوقا – مطبعة الف باء – الاديب – دمشق ١٩٧٦ .

دمشق – ص.ب ٦١٥٥ ... عيسى فتوح

جليلة رضا الشاعرة والإنسانة

بقلم منور فوال

* * *

مما لا شك فيه ان القصة هي النموذج المجسد لكل صور الحياة. ولكن الشعر هواغاريد لتلك الحياة. يطلقها الشاعر الى الوجود في خيال رائع فنحلق معها في آفاق علوية من النشوة الساحرة والشعر في مفهوم الشاعر هو دلالة لتلك الصور المتباينة التي يكسبها ثوب قشيب (مزركش) بكل ورود الدنيا . فينبعث شذاها ذكيا ليسري في النفوس حاملا عبيره صافيا . وعندما نريد ان ندلف الى حدائق الشعر الغناء فلا بد لنا أن نقف عند نفحات الشاعرة الكبيرة جليلة رضا هذا الاسم الذي اضاف الى مكتبة الشعر العربية عدة دواوين قيمة على مدى ربع قرن كانت كلها تمجد الانسان .. واول ما يلفت النظر الى مضمون الشاعرة الشعري هو ذلك الانسان .. فله غردت شعرها ومن اجله ذرفت دموعها . ومن اعماقه زخرت اعلى صيحات الحب لهذا الكائن البشري في اله وضياعه ، وسحره وجماله .. ومن اجله قالت مخاطبة ابنها الوحيد في قصيدة « وصية ام عربية » :

بني ... اذا اراد الله ان نحيـــا بدنيانـــا
وشب على الربى عـودك مزدهـرا وفينانـا

تعلم ــ قبـل بدء العيش ــ كيف تعيش انسانـا
وقســم قلبــك الواسـع للاحيـاء اكوانـا
فكـن نهـرا اذا عبـروا وان حلـوا فشطآنـا

من تلك الابيات تحس ان في اعماق الشاعرة افياضا من هذا الحب الجارف للانسان .. اذ ارادت له أن يكون كالبحر الواسع ، يلتهم كل هموم البشر على شط الامان والحب .. ارادت له ان يتجرد عن كل الدنايا ويظل هذا الكائن النظيف قلبا وقالبا . ويعيش حياته خالصة من كل الشوائب . وجليلة رضا التي التزمت هذا المبدا منذ ربع قرن في اول عهدها في الشعر لم تتبدل مع توارد السنين وظلت تغني لهذا الكائن الجبار اروع القصائد الانسانية النقية .

وفي قصيدة ــ الدمعة السخية ــ تنفرد الشاعرة بنفسها كيما تجتلي بدموعها أصداء ألم دفين عاشته في صمت راهب ، وخشوع مؤمن :

اهبطي ... اهبطي وكوني سخيـة
واستقري فـوق السفـوح النديـة
ايـن يـا دمعتي العنيدة عمـر
عشت فيـه مـع اللقـاء هنيـة

وتستطرد :

رطبي ... رطبي جفـاف زهـوري
واعيـدي دماءهـا الورديـة
واسكبي طلـك النقي عليهـا
واريـقي عطـورك القدسيـة
انت ريـح تطـوي الهشيم وتبقي
في رياضي ... على جذوعي القوية

تلك القصيدة تكاد تكون تتمة للقصيدة الاولى .. كلاهما تتوغل في ذاتية مسرفة . وتعبر كل منهما عـن موقف عاشته الشاعرة . والشاعرة تنطلق في قصائدها من خلال مواقف مختلفة .. فالقصيدة عندها موقف تريد ايضاحه في لوحة من الشعر النفيس يكون ذا موقع خلاب على السامع . كذلك نرى ان الشاعرة عندما ارادت ان تعبر عن الشيء المحطم في النفس جعلت ن هذا الحطام عذوبة الاشياء المحطمة ، تسير بنا الى مرفأ من الخذلان والتراجع عن هذا الشيء الذي تحبه :

لا ... لا تقل اني خدعتـك اذ طويتـك من حياتي
انا لم احبـك انما احببت اضـداد الصفـات

فاذا ما انتقلنا عبر قصائد ديوانها الاخير العودة الى المحارة وجدنا الشاعرة في ازهى صورها الشعرية .. تتلاحم مع الواقع الوطني مرة ، ومع ذاتها مرة اخرى ، والجانب الثاني هو السمة الظاهرة على معظم قصائد الديوان . والذات عندها منطلق رحب الى كل الاجواء النفسية التي تصادف الانسان عبر حياتـه .. ففي قصيدتها (المقعد الخالي) تتحدث الشاعرة عن انسانها الذي غاب ، وترك لها ظلاً لا يخبو شعاعه على السنين ، وهي بتلك القصيدة تصور اغلى ركن في صالون منزلها والذي احتله هذا الانسان (زوجها) طيب الله ثراه ولنسمعها :

يا لهـذا المقعـد الخالي وكم يبـدو حزينـا
انـه مـا زال للامس وفيـا وامينـا
لم يزل يهفـو الى من كان يسترخي عليه
للذي عشرين عامـا عاشهـا بـين يديـه

وتقول :

كان في حضنك ضيفا قلق الروح سقيمـا
ثم ولى عنك ــ يومـا ــ مؤثرا حضن سوادة (1)

اني عشقتــك صاحب الاحســاس تر العاطفــات

وغرقــت في دوامــة الاوهــام ... لم اشعر بذاتي

نجد ان في الديوان كل القصائد هادفة الى شيء ما .. الى رمز مبهم ، ولكنه ينطلق بحلاوة الكلمة ومعناها.. فان الذي قرا للشاعرة دواوينها الاولى منذ ربع قرن ، وراى خلجات الشباب في بواكير عمرها تتجسم الى لوحات شعرية رائعة احس بان خلجات ذلك الحب لم تختلف في عنفوانها ومكوناتها عن ديوانها الاخير (العودة الى المحارة) ففيه الحب متشعب الصور .. هيام ، فراق . عذاب . تضحية . وفاء . ذكريات ، عواصف . رياح . طفولة . كهولة .. كل كلمة في هذا الديوان تؤدي دورها وتحدد موقفها . فالشاعرة تقيس ذاتها ساعة بساعة ، وحركة بحركة .. وخطوة بخطوة ، وان الذي زامل الشاعرة عن قرب عرف ان مولد تلك القصائد لم يكن من فراغ، وانما استجمعت الشاعرة كل الصور التي تراءت امامها عبر سنواتها .. وسجلتها كخط بياني لانسان سار في دربها المرسوم .. ففي كل قصيدة يكمن حبها لهذا الانسان الذي كرست له خفقات قلبها ولنسمعها في قصيدة (الى ولدي) التي تحاوره بها :

سائل الأجل اشعاري حتى تتكسر احلامي

حتى تتصلب في عجز كفي وسلامي ابهامي

ما اقسى ان اصمت دهرا عن عزف الالحان العليا

ان اشدو طيلة اعوامي لتفاهة كوني للدنيا

وتقول :

ما اقسى ان يصمت قلبي ويضن عليك بانغامه

لا بخلا ـ لكن يا ولدي ـ خوفا من لوعة الامه

هل انظم في شعري حبا وهواك النبع لاشعاري

لا اقوى ـ سأؤجل دوما ـ حتى تتراخى اوتاري

في هذه القصيدة نجد قلب ام يتعذب في اتون من نار .. ان سعير تلك النار التي تتوهج في صدرها طوال سنوات عمرها قد فجرت فيها موهبة الشعر .. وقد لا يخفى على القريبين من الشاعرة ان وحيدها لا يدرك انها امه ولذا اعطت له حبها العميق الصامت .. حبها الذي لا يدانيه اقوى حب الا حبها للوطن . ولنسمعها تقول في الحب الخالد :

ايها الباحث في مصر عن الحب الوديع

لا تقل ضاع فان الحب فيها لا يضيع

كيف نطوي الحب ، والحب لنا زاد وادرع

نحن ذقنا الحب في ظل الفناء المتوقع

وتستطرد قائلة :

كان حبا حين ودعنا بلا حزن ذوينا

حين ‹رغنا الوجوه السمر في احضان سينا

حين سال الدمع فوق الرمل وجدا وحنينا

كان ايمانا ... وحبا ... وسموا ويقينا

وتتابع الشاعرة القصيدة بروح مؤمنة بصلابة هذا الوطن وابطاله البواسل فان ارض مصر دائما هي معطاء للحب والسلام .

في قسم اخر من الديوان نرى الشاعرة تذوب عشقا في المولود الجديد . كل قصيدة وافدة على خيالها تعتبرها آلهة حب جارف .. فهي مولود بسمت له الحياة تلك الابتسامة الرقراقة التي تملأ الوجود وجدانا صافيا ، ففي (الزائرة الحسناء) صورت شاعرتنا استقبالها الرائع لتلك الزائرة التي تطرق مغالق فكرها بكل تحنان وهي اذ تقول :

تاتيني دوما زائرة لا تعرف معنى الاوقات

حسناء ولكن تتغير ، شكلا ، في بعض المرات

احيانا تقتحم داري تحتل جميع الحجرات

تتواثب ... تقفز كالطفلة .. تشدو بالنغمات

تلثم وجهي ... كفي ... تغمرني بالقبلات

وتقول :

احيانا اخرى تاتيني كامراة شمطاء مهيبة

اصطدم بنفسي حين اراها وكاني في غيبوبة

امراة غامضة لا تحمل اسماء ولا جنسية

تتهادى عبر دهاليزي الخلفية

اما في قصيدة (ساعات ليلي) فان الشاعرة تصف ساعاتها في لحظات ارجوانية مرة .. بائسة اخرى :

ساعات ليلي في الدجى متوهجة

ارنو لهن وقد سخرن بوحدتي

وانا على عتبات نوحي مولجة ...

يلهون في عتب بكل مشاعري

ويطرن فوق المركبات المسرجة

فاحس احداهن تحتضن الهوى

تسري بها الاحلام جذلى مبهجة

كذلك تحاور الشاعرة نفسها في قصيدة الاصل والصورة ، باصدق حوار ممتع . وليس هناك اروع من حديث النفس الى النفس اذ تجلو الكآبة ، وينقشع الحزن وتبتهج الروح نشوى بعطر ذكريات الامس ، وبارقات المستقبل ، وتهيمن على عذابات الايام المجهولة .

ولنسمع شاعرتنا تناجي نفسها :

قد ابكي ، قد اندب حظي ، قد تصحب يومي احزاني

لكني حين احط الرأس اخيرا في فرشي العاني

اهمس في رفق باسمة ، لا تخشي يا نفس هواني

في ركن من هذي الدنيا ... يوجد انسان يهواني

وتقول :

قد يختق سجني انفاسي واضيق ببيتي المتواضع

لكن اذ ادخل فرشي وانام كمخلوق ضائع

اهمس يا نفسي لا تخشي ، فالواقع لا يمحو الواقع

في ركن من هذي الدنيا لي قلب كالقصر الرائع

دالية الحنين

انوار وجهك .. لا ارق وارحما — فلم اغتدت فيّ القلب سوطا مؤلما ؟
انت الذي بسماته هلت لها — شمس الرؤى، لما التظى بحر الحمى
ان كان طيفك فيّ الانام محبة — تتلى كهمس الفجر في درب السما
او كان عطرك في الحياة فضيلة — تكسو الجوانح رحمة وتبسما
فلم اللهيب تدوسني افراحه — ولم الضياء تقاطرت منه الدما ؟

اني لأرسف في جلالك نازفا — عل الجراح تعينني ان احلما
انفاسك الخضراء صارت شرفتي — منها ارى الدنيا حريقا معتما
تسعى الاساءة كالاراقم موهنا — انيابها تسقي السماحة علقما
لولا البراءة لم تكن اعمارنا — غير انمحاق شاقه ان يعلما
من حسنك القتال اغرف جرعة — نفسي بها ترتاد كونا مبهما
ما الوهم ؟ ما الالهام ؟ ان لظاهما — صوت تردد فيّ السكون مسلما

يا آسري ، ان المشاعر ظبية — صارت لها عيناك قيدا محكما
فامدد ضياءك فيّ حقول كآبتي — كي امتطي للفيض بارقة اللمى
اشكو حلاوتك التي لم ارتشف — منها ، فيا للقلب فيّ غسق الظما
احرقتني بالصد، كيف لوى الضنى — شوقا يغازل كالطفولة انجما ؟
في نارك الغراء تورق مهجتي — كالظل ، هل تؤوي الصبابة معدما ؟

قد كانت الاضلاع زورقك الذي — غنت له الاحلام حين تقدما
من ضوء احداقي نسجت شراعه — وبقيت في شط الظنون محطما
ارنو لصمت فجيعتي ، وكانني — جسم بداخله الوجود تهدما
ان يحفر الحزن الظليل جداولا — تناى بزهر الروح عن وهج الدمى
او تخرس الاطيار شدو رحيلها — فالجرح باق .. والاسى لن يفطما
ليل الخيانة صاهل ، وفم المنى — صبح جريح ، لا يطيق تكلما
كم آنست روحي ربيعك عندما — تخثت دموعك للطهارة سلما
واليوم الحاني ذبحت حنينها — لم ترتعش كفاك .. لم تلمس دما

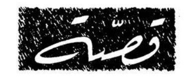
ما أشرس الاحلام ! كيف تسوقني — للنار .. نار العشق طفلا ابكما ؟
الليل يحصد ما زرعت من السنا — ويقود فيّ الاحداق مركبة العمى
والبين يمتشق الجنون ولم تزل — من قوسه الايام تلبس ماتما
للتيه ينذر زورقي ، ونشيشه — حمى تبارك فيّ الاضالع موسما
اعنو لصحوة آهتي ، وكانني — شفق يعب جراحه مترنما

من عمق اوجاعي اطل وهاجسي — الق الذ من البشائر مبسما
فاسبح فريدا ، يا سلمت ، فانني — ودعت دالية الحنين لتحطما
قد صوح الوهم الغرير بفيئها — وغدا الهوى بغرورها متفحما

مراكش ـ المدينة ـ ص ب ٤٦١ — احمد بلحاج آية وارهام

بهذا اللون الشعري الرائع مليء ديوان العودة الى المحارة ، وهو خلاصة تجارب خلاقة في دوحة الشعر واغاريده البراقة يعكس معاناة السنين وعذاباتها وسعدها وكآبتها .. فالشعر هو الحقيقة التي غردت لها الشاعرة اروع قصائدها . وكانت امينة بقدرتها ومكوناتها على الخلق ، صادقة مع نفسها .. ومع احساساتها الفذة المرهفة التي استطاعت من خلالها ان تقول شيئا .. وقد قالت شاعرتنا الكبيرة الكثير .. اذ هي على درب النيل سائرة . وعلى طريق المنحى الفني تبذل العطاء .

القاهرة — **منور فوال**





بقلم جمعة محمد جمعة

سؤال بسيط كان في البداية .. لم يكن وراءه شيء في لحظتـه .. سؤال يمكن سؤله لاي عابر سبيـل سواي ، وفي ردي عليـه لم يكن في الحسبان ان يحدث بعده ما حدث ..

ــ كم الساعة ؟

اجبت :

ــ الثامنة .

قالت :

ــ مع الشكر .

نظرت بجانب وجهي افتش عـن هويتها .. اطراف الاصابع رقيقـة خالية من تلك الاسلحة المدببة التي تتشكل بألوان الطيف .. الشفتـان الصغيرتان على لونهـمـا الطبيعي تختلجان من لسعة برد تفشى الجو .. الحاجبان الكثيفان لم تمتد اليهما يد التهذيب . الانف الدقيق يتقلب لونه بين الاحمر والابيض . الشعر تخفيه طاقية من التريكو بيضاء . اصابعهـا العشر خالية مما يطلق عليه في عـالم النساء حزام الامان . كل ما شاهدته برهن انها مثلي على بـاب الحيـاة تنتظر النصيب .

فتحت حقيبتها واخرجت بضعـة قروش وخرجت يـدي من جيبي بمثلها .. فتحت نافـذة السيـارة المجاورة لها ومدت يدها لتتنـاول جريدة الصباح .. بائع الجرائـد الذي كنت اتعامل معه ينتظرني منذ عام . ترى هل يتذكرني ؟ قرش مني احتضنته يد السائل الذي يخترق ممر السيارة ومثله منها . وقفـت بجوار مقعدي فتاة خيل لي ان طلاء شفتيها القاني يتساقط نقطة نقطة . ذكرني وجهها بمهرج الملوك . طـلاء أبيض يحيط بعينيها ، وآخر اسـود فوق حاجبيها ، وثالث مائل للاحمرار حول جيدها . عدت الى جيد جارتي فوجدته متدثراً برقبـة «بلوزة» رقيقة في نسيجها رقيقة في لونيهـا الاخضر والابيض . تطالع صفحـة اخرى من الجريدة وتقرأ مقالا عـن حق جديد للمراة ..

تحركنا مع السيارة في رحلة حرمت منها طويلا .. ها انا قد عدت بعـد اجازتي الطويلة الى العمل . قضيت العام المنصرم خارج البلاد . تنهدت وانا القي اطلالة سريعة على الشارع المتلىء بالزحام . ذهبت قبل الاوان للعمل . بدات بتحية رئيسي في مكتبه .. انه الرجل الانيق . رئيس واخ اكبر في أوقات الفراغ . ثم تحيـة الزملاء والزميلات اعضاء الاسرة .. جميل شعوري اليوم بالحـب . ان اليوم افضل من الامس . اين كنت بالامس ؟ كنت هناك اشم في طعـامي رائحة الغاز . كلمـا قبضت راتبي قبلت يدي حمدا لله ثم احيا مـن جديد عبدا للوحدة والقلق . جميل

انوجدت لي مكانا في السيارة يحيط بي الناس من كل جانب.. بعد عام من الضياع وجدت مكانا تحت سقف بيتي .. تحت سقـف السيارة .. تحت الشمس .

عدت الى جـارتي . اشعر وكأن معرفتي بها وطيدة .. تتجلى فيهـا الطبعية والاصالة . ارى جارتي وقد طرحت عنها مظاهر الزيف . شعرت بالنفور من هند بنت عتبة التي افتش عن مثيلة لها بلا جدوى . عجبـت لتبدل الحال بتلك السرعة .. قبـل عام كان العثور على فتاة في ثوبهـا الطبيعي امر شبه محال .. تخايـل امام مخيتي الجواد الابيض . نظرت الى ست الحسن وابتسمت .

كان لقائي بالزملاء حارا بدد آلام فراق طويل .. تساؤلات كثيرة وانا اصافحهم . كيف انت يا سعيـد ؟ وانت يا محمود ؟ وانت يا عليـة ؟ وانت يا نجوى ؟ اوه وانت يا سعاد ؟ لمسات رقيقة من التغيير تبدو واضحة امام عيني .. همسـت لنفسي : ماذا غيرك يا علية ؟ اين قطعة اللادن تطرقع بين اسنانك ؟ واين اختفـت انشودتك المفضلة انك صاحبة اجمل ساقين ؟ وانت يا نجوى ! اين عطور باريس ؟ واثواب الشانزليزيه ؟ وانت ياسعاد ! اين اختفت الرقة والنعومة وهل كففت عن مضغ الكلمات واكل بعض الحروف ؟ اين ذهب كل ذلك يا بنات ؟؟؟ كثير من الاسئلة تنهـال عليهن مني وكثير من الاجابات ارد بها على اسئلتهن .

جلست اتأملهـن وجـارتي في السيارة تبرز امام مخيلتي . انهـا مثل زميلاتي .. عملية وطبيعية .. نفضت قشورها المستوردة وظهرت على طبيتها اجمل واحلى . اخرجني

محمود من تأملاتي متسائلا :

ــ كيف كانت احوالك هناك ؟

قلت وانا امضغ الحسرة :

ــ بكل اسف كانت سيئة .

بتقطيب جبهته عبر عن دهشتـه معقبا بسؤال اخر :

ــ كيف ؟ انك اول من يصف حاله في البلاد الغنية بالسيئة .

قلت في اختصار شديد :

ــ يكفي انني فقدت انسانيتي .

تدخل سعيد في الحديث قائلا في لهجة ساخرة :

ـ يا سيدي .. الم تدخر لك الفين من الجنيهات ..

قلت وانا اكتم غيظي :

ـ افتقدت مالا يقيم بالالاف ..

قلت لك فقدت انسانيتي .

ثم نفست بعض غضبي في سيجارة اشعلتها .. قلت محاولا محو بقية غضبي :

ـ اتعرف يا سعيد شيئا عن انسان الغاب !!

قال :

ـ طبعا ... ومن لا يعرف يا اخي ؟

بغير وعي انطلقت صائحا :

ـ لا تقل يا اخي . لا تقلها ابدا امامي .

اطفات النظرات المحلقة نيران ثورتي .. امطرتني بوابل من الخجل قلت مستدركا :

ـ آسف يا سعيد .. ارجوك ان تغفر غضبتي . لكن لا تقل هذه الكلمة مرة اخرى . سمعت في غربتي هذه الكلمة مطعمة بالسموم . يا اخي انكم تأخذون اموالنا . اعمل يا اخي ستعود لبلدك غنيا وتودع ايام الحرمان .. ايش تبغي يا اخي مرتبك عشرة اضعاف مرتبك في بلدك . ليش يا اخي بتثور بامكاني ارجاعك، وبالتليفون احضر عشرات غيرك .

اعتراني الصمت فجاة .. هتف سعيد بابتسامة طيبة :

ـ مرحبا يا عزيزي في بلدك . اني اعتذر . دعني اقبل راسك .

واقسم ان يقبل رأسي لارضائي. تبادلنا الاحضان والقبلات. قلت وانا اخفي دمعة في عيني :

ـ الحمد لله على كل حال .

تبدد الجو المشحون والتففنا حول علبة الحلوى التي اشترتها زميلتي علية احتفالا بي .. شعرت بالسعادة وجو الاسرة يحيط بي . الاسرة .. قفزت جارتي في السيارة الى الصورة واحتواها وحدها الاطار الذهبي ..

رايتها في عليه . في نجوى . في سعاد فتشت في مخيلتي عن هند وكلما حاولت جمع ملامحها تلاشت وتبددت قلت في نفسي : « هل افوز بلقاء اخر مع جارتي ؟ » بدا الفوز بتلك الامنية بعيد الاحتمال ..

ايام تمر ولا شاغل لي الاها . لم يحتمل صدري كتمان الامنية فبحت بها لصديق عزيز .. قال منشرحا :

ـ ستعجبك جدا فتاة اليوم .. لقد عادت لواقعها .

قلت متأثرا بعاطفة جياشة :

ـ البلد كلها عادت لواقعها .. ومن الواقع بدات انطلاقتها الحقيقية ..

جمعة محمد جمعة

*

هذه هي الحضارة . من خلال الواقع نخطو نحو المستقبل .

ثم عدت به الى الحديث عن جارتي :

ـ سأفاتحها في رغبتي بمجرد ان نلتقي ..

وازددت شغفا بتحقيق الامنية التي جاشت بصدري .. كنت اراها في كل فتاة اصادفها في عرض الطريق ، واكاد ابدا معها الحديث ولكني اثوب الى رشدي في اللحظة الاخيرة ، الوم نفسي على تضييع فرصة اول لقاء .

وفي لحظة قررت ان احصل على اجازة واترقبها ، افتش عنها في كل سيرة ، ليس امامي غير هذا .. لعل الله يحقق لي امنيتي .

لمحتها واقفة تحت الشمس . تنعم بالدفء .. تمر السيارات امامها وهي في سكون . تحيط السيارات بنظراتها . بدت وكأنها تفتش عن احد ما . قفز قلبي طربا وانا اتخيلها تفتش عني . وقفت وراءها دون ان تحس بي . همست بصوت خفيض لا يصل اسماعي :

ـ كم الساعة ؟

فوجئت به يصل آذانها المترهفة وتلتفت الي :

ـ انت .

قلت :

ـ اجل انا .

لا ندري كيف تحركت يدانا وتشابكت اصابعنا ، التقت الاوردة وتعانقت الشرايين .. قلت في اختصار

ـ عدت منذ ايام من الخارج .

قالت :

ـ لم ابرح بلدي .

قلت :

ـ املك بعض سبل العيش .

قالت :

ـ اصفار تحيط بي .

قلت :

ـ اتمنى لو ..

قالت :

ـ فكر ثم فكر ثم فكر ..

قلت :

ـ فكرت وفكرت وفكرت .

قالت :

ـ والامس ؟

قلت :

ـ كان علينا .

قالت :

ـ والغد ؟

قلت :

ـ لنا ..

قالت وهي تتابع سيارة غادرتنا :

أنا في انتظارك

انا في انتظارك ، ما مللت ، لاجل عينيك انتظـارا

اتجزع الزمن البطيء ، وذكريـــاتي بي سكـارى

من اين جئت ، وكدت قبلك لا ارى في الهدب نارا

وخطرت في قلبي ، وفي شفتي ، كأشـواق حيارى

وسكنت حيث سكنت في روحي ، شموخا واخضرارا

وقرات وجهك ، يا مـلاك الحـب ، احلاما كبـارا

ورايتـك الفردوس سوسنـة ، وريحانـا وغارا

انا ان نسيت ، وان نسيت الامس ، لم نحرز خسارا

حسبي وحسبـك في غـد ، ليل نصيره نهـارا !!

فوزي عطوي

ـ ما كان ينبغي ان نتأخر .
قلت :
ـ كنا سنضع اساسا لبيتنا تحت
الشمس ..
ولا ادري كيف جاء الاتفاق اذ قلنا
في كلمات متفقة تماما ومعا :
ـ ترى هل يعرف احد ان الحب
يمحو الالام !!!!

القاهرة جمعة محمد جمعة

جورج صيدح في اخوانياته

بقلم حسين علي محمد

* * *

تعم النقد العربي الحديث بعض المصطلحات ذات المفهوم الخاطىء ، والتي تحتاج الى تقويم نقدي صحيح يضع النقاط فوق الحروف . من هذه المفاهيم السيئة ان الشعر « المفهوم » خطابي وفج ، وان الشعر الذي يلجأ الى « البهلوانية الاسلوبية » عظيم وراق .

اقول هذا ، لان الدكتور عيسى الناعوري يجزم في ثقة — وهي في معرض دراسته لشعر صيدح — بأن « شعر صيدح في السنوات الاخيرة لا ينبض بالحيوية ، ففي وطنياته تغلب الخطابية والعنترية والنثرية والركاكة .. التي تدل على ان عهد الشعر الجيد عند صيدح قد ذبل وانتهى امره » (١) .

ومن واجب الدكتور عيسى الناعوري ان يراجع نفسه . وان يعيد قراءة شعر جورج صيدح في اعوامه الاخيرة ، فسيجد ان ملكة جورج صيدح قد استحصدت، وانه كان في الاعوام الاخيرة يكتب شعرا عذبا صافيا . ولن اتعرض الا لاخوانياته الشعرية ، وهي تلك « الرسائل الشعرية » التي كتبها تعليقا على قصيدة لصديق ، او ردا على اهداء كتاب ، او رسالة شعرية لصديق يحبه .

ومن قصائد المعارضة قصيدته « الى الشاعر محمد عبد الغني حسن » (٢) التي يهديها الى الشاعر محمد عبد الغني حسن بمناسبة اختياره عضوا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ويقول فيها :

خالد انت على مر السنين	قبلما نرجوك بين الخالدين
ما طرقت الباب ، لولا عصبة	اقسمت انك خير الطارقين

وفي هذه القصيدة يعارض قصيدة الشاعر محمد عبد الغني حسن « فتنتني عبقر يوما » (٣) التي القاها في حفل استقباله بمجمع اللغة العربية بالقاهرة حيث فاز بالعضوية فيه خلفا لسلفه المرحوم المؤرخ الكبير الاستاذ محمد رفعت وزير التربية والتعليم الاسبق بمصر . وكانت قصيدة محمد عبد الغني حسن في خمسة وخمسين بيتا من الشعر الرصين ، ومطلعها :

عدت من عمري بآلاف السنين	حينما صرت بكم في الخالدين
لو يسمى الفوز يوما صفقة	كنت في الصفقة خير الرابحين
انا مذ آوي الى قمتكم	فانا آوي الى ركن ركين
قد تلقيتم جهادي بيد	كل ما فيها على الحق امين
خفت اني لم اكن اهلا لكم	فاراني فضلكم كيف اكون

وقد يهدي احد الاصدقاء كتابا الى شاعرنا جورج صيدح فيكتب له — بغير افتعال — قصيدة معبرة عن شكره وتقديره مثنيا على الكتاب وموضحا بعض جوانبه . فقد كتب الى الاديب ناجي جواد بعد ان اهداه كتابه « ادب الرسائل » (٤) :

« ناج الجواد » ابا النوافل	وافتح له صدر المحافل
فهو الذي فتح الغلاف	وغاص في « ادب الرسائل »
هذا الكتاب الجامع ال	آثار بعد خراب بابل
نشر الطريف عن الاوا	خر والتليد عن الاوائل
فيه الخطاب لكل سار	والجواب لكل سائل
فهو الصدي الباقي ، ولي	س كسائر الاصداء زائل
حياه كل مراسل	وسعى اليه كل ناقل
طوفت فيه حولها	متنزها بين الخمائل
الطيبات تنوعت	فيه ، فلم يعذله عاذل

وقد يقرأ كتابا فيكتب خواطره عن موضوع الكتاب. فقد قرأ كتاب « فيليب لطف الله شاعرا وانسانا » للاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ، فكتب قصيدة بعنوان الكتاب (٥) قال في مطلعها :

الشاعر الانسان ، لطف الله	عزت شمائله على الاشباه
في ثوبه بحر ، وفي اشعاره	روح مرفرفة على الامواه
سارت شوارده تسابقه كما	دارت محامده على الافواه

اما الرسائل الشعرية التي أرسلها الى اصدقائه فما اكثرها ، لكننا نتوقف امام قصيدة واحدة كتبها في الاستاذ الكبير وديع فلسطين سفير الادباء بعنوان « وديع فلسطين زين الكاتبين » (٦) يقول فيها :

زودت اقلامي بحبر عسجدي	وعزمت اكتب ما يليق بسيدي
هذا الوديع اعزني بمودة	هي ثروة شغلت عقول الحسد
قدستها ، واخذت احلف باسمها	اني لها ، ما دام امري في يدي
منها تعلمت القناعة والرضا	بمدائح مهموسة في المشهد
جافيت اضدادا كوتهم ناره	لم اجف نقادا براء المقصد
هذا (المقفع) عالم مترفع	ان تقرب الانوار منه يبعد
عين الرقابة لاحقته فقصرت	كالسلحفاة وراء ظبي اغيد
والاقدمون يقلدون بيانه	شتان بين مجدد ومقلد

ولو لم يكتب جورج صيدح غير هذه الاخوانية لجعلته في قمة شعراء الاخوانيات على امتداد تاريخ الادب العربي ، ولا نسوق الاحكام جزافا ، فهذه القصيدة تقدم لنا شخصا بلحمه ودمه ، والذين عرفوا وديع فلسطين وراسلوه وقرأوا ادبه يعلمون ان هذه القصيدة لا تكتب الا في مثله . بينما قصائد « الاخوانيات » عند الاخرين

يمكننا أن نحذف من فوقها اسم الشخص الذي كتبت فيه او له ونضع مكانها اسم شخص اخر ، مثلما فعل شاعر كبير في قصيدة وجهها الى منشىء جريدة « وطني » القاهرية وهي خريدة عصماء ـ اي القصيدة ـ مطلعها :

غلب الهوى فشدوت يا احباب بالشعر فيكم والهوى غلاب

ونشر هذه القصيدة في مجلة قاهرية ، وحينما نشبت الفتنة الطائفية غير بعض ابيات القصيدة ونشرها في جريدة « الاخبار » بعنوان « اتباع احمد والمسيح احبة » ثم نقلها عن « الاخبار » الى المجلة التي نشرتها اول مرة مهداة الى منشىء « وطني » !

ان الابيات التي نقلناها في استاذنا وديع فلسطين تعبر خير تعبير عن الوديع ، وعن مشاعر جورج صيدح . هذه المشاعر تكشفها رسائل جورج صيدح الى محبيه يقول في رسائله الى فوزي عطوي :

« لم اقرا دورية لبنانية منذ سنتين ، مكتفيا بصحافة مصر ، يتبرع بها وديع فلسطين » .

« اكتب اليك وفي يدي قصاصة مقالك .. لقد ارسلها الي الاخ وديع فلسطين من القاهرة » .

« افضي اليك بسر يثير الدهشة : هذا المقال الذي صدر في « الاديب » لم ارسله انا اليه ، بل ارسله الاخ وديع فلسطين راسا من القاهرة ، كنت ارسلته اليه .. ومضت شهور على تلك المراسلة، ونسيت المقال، لم اسأل وديعا عنه ، ولا طالبته بنشره الى ان فوجئت اليوم بقراءته منشورا في « الاديب » .. »

« آخر ما قراته لك رسائل المرحوم نظير زيتون التي جددت احزاني على الاديب الذبياني ، فجئت اعرض عليك ملف رسائله الضخم المحفوظ عندي اليوم .. وديع يعترض على هذا المشروع ويعتبر الرسائل امانة في عنقه لم تكتب للنشر » (٧) .

ها هو في رسائله للاستاذ فوزي عطوي يلهج بذكر وديع فلسطين ، فلماذا لا يكتب فيه قصيدة رائعة كتلك القصيدة التي في جزئها الاول ، بوح عن المحبوب الوديع . لكن جورج ينطلق هائجا متذكرا هذه الهجمة النكراء ضده :

ما عاقه ما عاقني من حملة هدامة فضحت حقود الجحد
شلت يد الجاني علي فمادنا حتى انحنى ، وانهار لو لم يسند

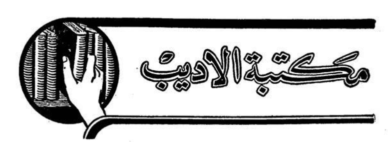
والى وديع فلسطين كتب جورج صيدح عدة اخوانيات منها « بطاقة العيد » هذه (٨) :

شطرتنا مطارق البين شطرا
فاتخذنا من الرسائل جسرا
نتلاقى عليه روحا وفكرا
كم رقنا نفوسنا فيه حبرا
وتركنا بين السطور ممرا
لشجون تحز في القلب سرا
كان كتمانها عن الناس كبرا
وازدراء بالمعتدي مستمرا
ان للصبر في المكاره اجرا
عزة النفس لا تباع وتشرى

في هذه القصائد الاخوانية نرى بساطة محببة الى النفس ، وتلقائية تميز الشاعر العظيم ، وما اندرالشعراء العظام في زماننا . وقديما قيل للسيد الحميري شاعر الكيسانية الرافض : لماذا لا تقوم من الغريب ما تسأل عنه ؟ فأجاب : لان اقول كلاما بسيطا يلذ من سمعه خير لي من ان اقول كلاما تضل فيه الافهام !

١ ـ مجلة الاديب ـ يناير ١٩٧٨ ـ ص ٦٠
٢ ـ مجلة الاديب ـ يونيو ١٩٧٨ ـ ص ٥٨
٣ ـ مجلة الاديب ـ ابريل ١٩٧٨ ـ ص ١٤
٤ ـ مجلة الاديب ـ فبراير ١٩٧٨ ـ ص ٦٠
٥ ـ مجلة الاديب ـ يونيو ١٩٧٨ ـ ص ٥٩
٦ ـ مجلة الاديب ـ اغسطس وديسمبر ١٩٧٨ ـ ص ٦٠
٧ ـ مجلة الاديب ـ يناير وفبراير ١٩٨٢ ـ مقال الدكتور فوزي عطوي ـ ص ٤٤ ، ٤٥ .
٨ ـ مجلة الاديب ـ فبراير ١٩٧١ ـ ص ٥٧ .

ديرب نجم ـ الشرقية ـ مصر — حسين علي محمد



العلامة عجاج نويهض

★ ★ ★

في كتابه رجال من فلسطين

للعلامة المؤرخ الشهير الاستاذ عجاج نويهض جوانب متعددة قل من يجاريه فيها فهو قانوني تخرج في الحقوق ، وهو خطيب مصقع ، ومؤرخ يتغلغل في اعماق الحوادث بالدقة المثيرة للاعجاب ، وهو اديب متمكن من النثر والشعر ، واسلوبه في النثر من السهل الممتنع، ثم هو صحافي وطني من طراز خاص ، مارس الصحافة طويلا ، وان من كان بمثل هذه الجوانب المتعددة بالاضافة الى ما يمتاز به من الاخلاق العالية والكرم العربي لا بد وان تكثر معارفه ، وتتسع دائرة اتصالاته بالناس من اهل العلم ، واهل الادب ، وارباب القلم، ورجال السياسة ممن يبذلون ما يملكون حتى نفوسهم في سبيل اعزاز بلادهم وحريتها .

يقول الاستاذ شفيق الحوت « ومن عرف (ابا خلدون) عن قرب ، وقضى معه ولو بضع ساعات في ظلال صنوبرات منزله العتيق، الرابض كالصقر منذ مئة عام تقريبا على قمة (راس المتن) مطلا على وادي (لامارتين) الساحر لاكتشف فيه من الصفات والخصال ما قد يصعب اكتشافها من صوره المعروفة : كمؤرخ مدقق ، وبحاثة غواص ، وخطيب تنحني له المنابر ، ويستحيل اكتشافها من صورته كموظف مسؤول احتار معظم من عملوا معه فيما اذا كانت ساعة (بيك بن) او مواعيد دوامه هي الاكثر دقة » .

هذا الرجل ، تسوقه رجلاه وطموحه في سنة ١٩٢٠ الى القدس عبورا من الشام وله (راس مال) كاف من المواهب الادبية والحماس الوطني ، فيندمج في المحيط كاتبا ، ومجاهدا وعاملا في الحقل الوطني، وكانت السلطة الانكليزية وهي ام البلاء قد اعدت العدة الكاملة لاستيطان اليهود قبل ان تحتل فلسطين وتطرد العثمانيين وقبل ان يعلن بلفور وعده بصورة رسمية ، والان وقد تم للسلطة الانكليزية ان تنفذ خطتها بندا بندا وسطرا سطرا ، وعلى ان لهذه السلطة قدرتها وامكاناتها فلم يكن من السهل تطبيق هذه الخطة المرسومة منذ سنة ١٩٠٧ والتي جاء ذكرها في مذكرات تشرشل فكان لا بد ان تلقى معارضة من سكان فلسطين العرب دفاعا عن ارضهم ، وحريتهم ، واموالهم ومن هنا نشأت التظاهرات ، والاحتجاجات ، والثورات في وجه السلطة الانكليزية والصهيونية ، فصارت الحركة من التعقيد اشبه بوشيعة الغزل المتشابكة التي يصعب عليك الاهتداء الى رأس الخيط لتعرف كيف بدأت هذه المعارك او كيف كان السكان من حيث معيشتهم ، ودراستهم ، وعلمهم ، وادبهم ، وصحافتهم ثم سياستهم وجهادهم ، وهذا ما لم يكن باستطاعة احد ان يتصدى له عن طريق معرفة رجالات فلسطين في تلك الحقبة غير الاستاذ عجاج نويهض الذي كانت تربطه بمختلف الطبقات روابط تتجاوز احيانا حدود العمق المفروض ، وان صدر الاستاذ عجاج يكنز الشيء الكثير من الحوادث والوقائع فكيف وان له اضابير تضم جميع الوقائع بحذافيرها ومسبباتها ، وهو يعرف اهلها ورجالاتها عن كثب معرفة الابن لابيه ، والاب لابنه، والجار لجاره ، فاخرج لنا هذا الكتاب (رجال من فلسطين) الذي يحكي دائرة معارف واسعة عن فلسطين بكل ما يحوطها . ويقول عجاج « هؤلاء الاشخاص الذين اختطف منهم هذه اللمع الان ، ادركتهم جميعا في فلسطين ، ولقيتهم لقاء وافيا ، وان كانت صلتي بهم متفاوتة بين واحد واخر منهم ، والحياة ـ كما تعلم ـ مؤلفة دائما من خيطين : بداية ونهاية معا ، فبعض هؤلاء كان على وشك ان يدرك المغيب ، وبعضهم الاخر كان في الكهولة ، بينما الصفوف التي كانت تطل من هناك كانت مخضرمة جمعت اواخر العهد العثماني واوائل العهد العربي المناضل بعد الحرب » .

وهؤلاء الاشخاص الذين تناولهم الاستاذ نويهض في كتابه يؤلف مجموعهم قصة فلسطين قبل وبعد الحرب الثانية برمتها ، وقد جاء في كتابه هذا ذكر ٧١٤ شخصا مرعلى بعضهم استطرادا بحيث لم يكن لهم الا ذكر جاءت به المناسبة ، وقد ذكر بعضهم بما يكفي التعرف به وبمكانته ، ومؤلفاته ، واعماله ، واولاده ، ومسكنه ، واطنب في ترجمة البعض الاخر اطنابا وافيا لاسيما الاشخاص الذين كان لهم الاثر المباشر العميق في القضية الفلسطينية من بعض وجوهها او من جميع وجوهها ، امثال الحاج امين الحسيني ، وراغب النشاشيبي وعبد القادر الحسيني ، وجورج انطونيوس ، والشيخ عز الدين القسام ، وموسى كاظم الحسيني ، وفخري النشاشيبي ، وفايز الحداد .

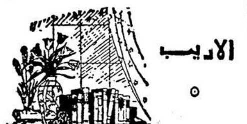
وهو حين يعرض للبعض فانه يتغلغل في اعماقهم ويشير الى عاداتهم وتقاليدهم وآرائهم وهو عندما يذكر خليل السكاكيني مثلا لا ينسى ان يقول عنه بانه كان يغتسل بالماء البارد في الشتاء القارص ، ويقول عن ابائه بان اباءه سد في وجهه وصول المال اليه وهو يأبى ان يذهب الى المال ، ويذكر ان خليلا لم يطق الحياة بعد ان مات ابنه (سري) فمات بعده بشهور ، ويقول نويهض عن (سري) هذا الذي اكمل تعليمه في امريكا انه التقاه بعمان اخر مرة وهو يهم بالسفر الى مصر وقد وافته المنية هناك بعد وصوله بقليل ، يقول نويهض فدعوته فاعتذر بسبب السفر وعما قاله لي وقد اخذت هالة روحية تطفو على وجهه « والان وداعا ولا ادري الأعود الى عمان ثانية » ؟ وابتسم ابتسامة تقرا فيها شيئا من غير بضاعة الدنيا ، وبقيت اياما وانا اسال نفسي عن مغزى هذه العبارة ، فلما قرانا في الصحف خبر وفاته علمنا ان للغيب ظلا يمتد احيانا من المجهول الى المعلوم .

ثم يذكر في عرضه هذا ، حتى اسمي كريمتي السكاكيني وهما (دمية) و (هالة) وان السكاكيني استطاع ان يبني له بيتا في القدس بما جمع من حطام الدنيا وثمرة عمله في الحكومة ليستريح ولما ماتت زوجته قال : « لما عشنا متنا » واستولى اليهود على بيته .

ويسمي حتى اولاد المترجم لهم وخصائصهم ويدل على مساكنهم اليوم من الاقطار ، فهو يقول عن (عادل جبر) ان ولديه داود ، وعفيف فالاول وهو مهندس اليوم برام الله ، والاخر بمصر .

وحين يمر بخليل بيدس لا ينسى ان يشير الى ابنه يوسف بيدس

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٣٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir. 223819

المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨—١١

بيروت — لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير اديب

مدير مجلس ادارة بنك انترا ولم يفته من خصائص الشيخ سعود العوري انه كان اول قاض شرعي في القدس بعد الاحتلال ، وانه عاش نحو مئة سنة ، وان ولده الشيخ مصطفى المتخرج في دار العلوم هو اليوم محام شرعي .

وحين يتطرق الى ذكر وديع البستاني يذكر انه اول من ترجم رباعيات الخيام الى العربية وانه قام بترجمة (المهبراته) الهندية التي اخذت حكومة الهند على عاتقها طبع الترجمة ولم تتم حتى الان ، وحين رأى وديع الامرين من مضايقة اليهود له قال لابنته :

ابــوك بــل ثراهــا   دمعــا دمــا لا مياهــا
غنى العروبــة دهــرا   وعــاش حتى رثاهــا

ولم يخل كتابه من خصائص الرجال الخاصة فعندما يمر بعلي رضا النحوي يقول انه كان في غاية القصر قامة بين الف عربي في معاهد الاستانة حينذاك ، ولما هجم الطلاب على مكتب جريدة (طنين) في الاستانة محتجين على ما كتبت هذه الجريدة من طعن على العرب واقتحموا غرفة صاحب الجريدة ، وتناولوه بالضرب وهم عشرات ، وثب (النحوي) على كتف احد زملائه الذين امامه حتى استطاع ان يوجه ضرباته الى الرجل .

ويدلك عمقه في التغلغل انه حين يأتي على ذكر (امين فارس) يذكر كيف قام وزوجته بتربية اولادهما ، ويقول ان ابناءه كانوا اربعة وهم (اديب) وقد توفي قبل الحرب الثانية ، والدكتور نبيه وهو من عيون المفكرين والعلماء والمؤلفين وهو رئيس دائرة التاريخ في الجامعة الامركية ببيروت ، والدكتور رافت وهو الان يعمل في الاردن طبيبا ، وباسم ولا ادري مكانه اليوم ، واما البنات فهن باسمة ونبيهة واسمى يعملن في حقل التربية الوطنية ، وتوفيت رشا الام فانقلبت هذه الاسرة الى مصنع ثقافي .

ويقول عن خصائص امين فارس ان امينا في الصيف ينقلب الى (ست بيت) اذ انه يسهل لزوجته قضاء الصيف في المصايف تعويضا عن اتعاب البيت طوال السنة ويتولى هو كل شؤون البيت من طبخ ، وغسيل ، ونظافة ، واستقبال الضيوف .

ويمر بالاحداث السياسية مرور العارف المتثبت مما يقول فيشير الى الثورات ويذكر حجج اليهود في حائط المبكى ، والهياج الحاصل بسببه ، وما جرى في الخليل على اثر الوثبة ، وحكاية اعدام فؤاد حسن حجازي ، وعطا احمد الزير ، ومحمد خليل جمجوم ، وما كان يريد الانكليز بهذا الاعدام من اذلال الملوك الذين توسطوا للعفو عن اعدامهم فلم يستجيبوا لهم ، ويصف الواقعة واسبابها وصلابة السلطة الانكليزية تجاه العرب وعفوها عن يهودي حكم بالاعدام في نفس الوقت .

ثم يذكر المنافسة العائلية بين آل الحسيني وآل النشاشيبي وما كان لها من الاثار السياسية في القضية الفلسطينية .

وحين يعرج على المؤتمر الاسلامي العالمي وتاريخه حتى انعقاده في القدس يذكر اسماء جميع وفود الدول الاسلامية التي حضرته ، واسماء جميع الاعضاء الذين انتسبوا للمؤتمر ، ويسهب في مقررات هذا المؤتمر التي كان يراد بها رعاية القضية الفلسطينية وجمع كلمة المسلمين .

وكثيرون اولئك الذين كتبوا عن فلسطين ، وعن الحركة الصهيونية ولكن القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية ستظل معقدة غير مفهومة عن غير طريق المؤرخ العلامة عجاج نويهض فقد سبق هذا الكتاب كتاب له جليل القدر تعززه الوثائق الثابتة عن منشا الحركة الصهيونية باسم (بروتوكولات حكماء صهيون) في ثلاثة اجزاء هي كل شيء لمن يريد ان يلم بتاريخ الصهيونية ، وهذا الكتاب (رجال من فلسطين) هو كل شيء ايضا عن فلسطين في سنيها الاولى وفيه التوضيح الكامل للنضال

السياسي والجهاد الوطني ، كما ان فيه صفحات من تاريخ الصحافة، والتعليم ، والقانون والشريعة والادب وتطوره ، وما قدم المؤلفون الفلسطينيون للعالم العربي والاسلامي من مؤلفات لم يغفل المؤلف اسماءها وموضوعاتها والمكتبات الثمينة التي استولى عليها اليهود بعد سنة ١٩٤٨ وكانت مكتبة المؤلف وهي من انفس الذخائر من بعضها .

ومن المؤسف ان هذا المجتمع العربي الذي خدمه الاستاذ نويهض بقلمه وجهاده ، وصحافته ووظيفته يوم كان مديرا لاذاعة القدس العربية والتي لم يتقبلها الا بشروط كان اهمها ان تكون لها الحرية الكاملة في الاذاعة ، ولذلك اتخذ منها منبرا في ايصال صوت العرب الى المسامع التي كان بامكان هذه الاذاعة ان تبلغها وقد جر اليها ألمع الرجال من سوريا ولبنان ومصر ليذيعوا باصواتهم ما كان يعن لهم ، كذلك وظيفته يوم كان عضوا فعالا في المؤتمر الاسلامي فاتخذ من التعرف بالوفود الاسلامية وسيلة تلاحم بين الوفود والوطنيين الفلسطينيين في نصرة القضية الفلسطينية . اقول من المؤسف ان يكون هذا المجتمع باستثناء بعض رجالات العرب الاوفياء يكاد ينسى هذا المؤرخ العلامة الكبير وحتى الصحافة العربية قد لا تدري بانه اليوم ومنذ اكثر من سنتين هو طريح الفراش ، فقد قصرت هذه الصحافة العربية حتى في الدعاء له بين آن وآخر بالشفاء ، فاسال الله ان يمن عليه بالعافية ويبقيه قدوة لكل حسنة من الحسنات التي ينشدها الناس في هذه الايام ولا يجدونها.

عمان — الاردن — ص.ب ١٧٠٤٢ — جعفر الخليلي

* * *

١ — ديوان الشلال

شعر توفيق بربر — ٣٨٠ صفحة — مطابع مؤسسة ايف — بيروت — ١٩٨١

يقول الشاعر في مقدمة الديوان « من المعرفة يتفرع الشعر فالشعر هو ابن المعرفة الروحي وجوهرة الحياة النفسية ولؤلؤتها النادرة الفريدة، ولو كانت الحياة زهرة فواحة لكان الشعر اريجها او بنفسجة لكان روحها .. »

ويقول ايضا :

اليكم شلالا من الشعر جامعا ... بحور القوافي من تليد وطارف
فما كل شلالاتكم وبحوركم ... كشلال شعر زاخر بالمعارف
اولئك ماء من حشى الصخر نابع ... وهذا لظى فجرته من عواطفي

والشاعر من مواليد الحاكور ، قضاء عكار من اعالي لبنان الشمالي ، هاجر يافعا الى البرازيل .

يتالف الديوان من مائة وثماني عشرة قصيدة موزعة على ثلاثمائة وثمانين صفحة :

هذه كرمة روحي ... فهي تشفي الغليل
قد زكت مثل الحميا ... وصفت كالسلسبيل
انها نور تجلى ... في دجى الليل الطويل

الشاعر رقيق الكلمة كرقة لبنان قبل حوادثها المؤسفة غني العبارة حلو الصورة رفراف الخيال استمع اليه وهو يتغنى في قصيدته « الهوى العذري »

واشعر كالماخوذ ان جداولا ... تئن انين الوجد في مهجتي تجري
وان فراش اللهو حولي محوم ... وورد الجمال الغض ينضح بالعطر

ومن قصيدة « شهادة الحق » :

للعرب حبي وما الهمت من ادب ... مجد العروبة مجدي والعلى اربي
لا نجد داري ولا الاسلام معتقدي ... لكنني عربي الروح والنسب
انكنت منمصر ام صنعاء انتاخي ... ام كنت منتونس الخضراء ام حلب
لبنان مسقط راسي وهو في نظري ... احلىبقاع الدنى، والعرب منتسبي
واكرم الناس احسابا واجدرهم ... بالفخر، من كان من لبنان والعرب

الديوان من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية — دار الرشيد للنشر — ١٩٨١ — بغداد .

٢ — الزاهر

شعر نعمان ماهر الكنعاني — ٣٧٦ صفحة — دار الرشيد للنشر — دار الحرية للطباعة — بغداد — ١٩٨١

يقول الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي في مقدمة الديوان « لقد تقاسمت شعر نعمان اغراض متنوعة كان لكل منها سبب من نشاته او سبب اخر من خاصة دراسته ، وثالث من الدم الجاري في عروقه »

فبالاضافة للقصائد القومية والوطنية هناك قصائد الغزل التي تتسم بالحرارة وقوة العاطفة والتي يستعيد بها ذكريات الشباب ، الى جانب قصائده الحماسية في تمجيد القوة والبسالة وركوب الاخطار الى اخوانياته الطافحة بالحب والمشاعر الانسانية النبيلة .

الديوان يضم مائة وتسعا وثلاثين قصيدة تتوزع على ثلاثمائة وسبعين صفحة من الحجم المتوسط .. في قصيدته الاولى بعنوان « تموز قد عاد اللقاء » يقول في مطلعها :

قل للقوافي الظامئات سلاما ... اوميض برق جدد الاحلاما
ام تلك فيك سجية اما علا ... للعرب صوت صفقته انغاما

الى ان يقول :

يا باذل العزمات ترفع ها هنا ... ركنا وترفع من هناك ركاما
لا بدع ان ضاقت بشاوك زمرة ... نفست عليك الباس والاقداما
رفعت عليك عقيدة مزعومة ... قد غلفت بشباكها الاوهاما

وفي قصيدة « اعراس بغداد » التي انشدت في مهرجان الشعر المنعقد ببغداد ١٩٦٥ يقول :

حي هلا يا شعراء العرب في ... موئل المجد وبغداد الوفاء
قد حنى النخل لكم هاماته ... معربا للصيد عن صدق الثناء
للملبين لها اعراسها ... كرما يجلو سجايا الكرماء
طرب المجد بكم حتى اعتلى ... صهوة الفخر وعرش الانتشاء

وفي « صحاب وذكريات » :

يا صحابي واين مني صحابي ... ذكريات الصبا وعهد الشباب
يا صحابي وفيالنوى يجمع الشوق ... فان طال عاد خفق عذابي
كلما مر في خيالي منكم ... صاحب هز خافقي في اصطحاب

وفيها يذكر جملة من اصدقائه : الدكتور عبد الرزاق محيي الدين والاساتذة شكيب الفضلي وعبد الرزاق الهلالي وعبد المحسن الدوري وخالد الشواف ويوسف رزوق ومدحة الجادر وناجي طالب وجمال الالوسي ورجب عبد المجيد .

و « في وداع الشعر » :

ماذا يريد الشعر اني ... القصيت قيثاري ودني
صارحت آمالي بما ... لقيت على درب التجني
ورضيت ان يبدو لها ... ما كان من خطل وغبن

و « برق الشيب » :

اقول لبرق الشيب ويحك هل تدري بانك افزعت الاماني بالنــذر
طرقت واحلام الشباب كعهدها خـواء الى الكاس الرويـة والزهر

في الديوان قصائد رقيقة تستهوي القارىء وتبعث فيه المتعـة والمتابعة وهو من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام في العراق سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ـ دار الرشيد للنشر وطبع على مطابـع دار الحرية في بغداد ـ ١٩٨١ .

٣ ـ الفصول

شعر محيي الدين خريف ـ ١٠٠ صفحة ـ مطبعة الحرية بغداد ـ ١٩٨١

يتالف الديوان من تسعة وعشرين فصلا وكل فصل يتكون مــن قصيدة واحدة قد تتجاوز الصفحتين .. تتوزع الفصول على مائة ورقة.

في « فصل الاقحوان » يقول الشاعر :

اصبح الضوء والاقحوان صديقين
حين ارتوى الاقحوان من الضوء
والضوء من عبق الاقحوان
يرف الندى والدموع ندى
وينتظر الشوق بالباب
قل ساعة ساعتان
ليس يجديك ان تبسط الكف تطلب شيئا
من الحب مما يجود به الضوء والاقحوان
لانك قد جئت بعد فوات الاوان
وكل المياه مضت في مساريها
والزمان تحول غير الزمان

الكتاب من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ سلسلة الشعر العربي الحديث ـ ١٩٨١ .

٤ ـ الصوت الخالد

شعر الميداني بن صالح ـ ١٦٤ صفحة ـ مطبعة الحرية بغداد ـ ١٩٨١

يقول محمد مواعده في مقدمة الديوان : « ان الشعر عند صاحب هذه المجموعة من المختارات هو موقف ، وهو صرخة مستمرة وعنيفة ضد الظلم بكل ألوانه واشكاله واساليبه ، وهو بذلك ليس ترفـا فكريا ولا نشاطا ادبيا خاصا بالنخبة وانما هو شعبي المنطلق والمصير ».

في الديوان خمس عشرة قصيدة تتوزع على مائة واربع وستين صفحـة .

من قصيدة « صيحة شهيد » :

مزقني واخوتي الرصاص والنبالم ..
وشتت عشيرتي المظالم
فشعبي المسالم
يمطـره اللصوص ، والشذاذ
قنابل مسمومة الدخان والرذاذ
تجتاحه ، تحرقه ، تعصره دما
لتروي الظما ...

الديوان من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهوريـة العراقية سلسلة الشعر العربي الحديث ـ ١٩٨١ .

٥ ـ نخلة القلب

شعر علي الشرقاوي ـ ١٧١ صفحة ـ مطبعة الحرية بغداد ـ ١٩٨١

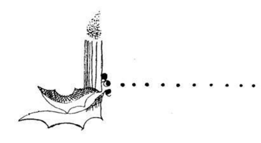
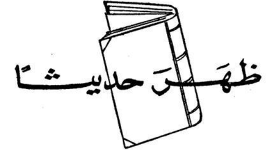
يتالف الديوان من ثلاث وثلاثين قصيدة موزعة على مائة واحدى وسبعين صفحة .

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان « رسائل » :

اكتبي
فرسائلك عندليب صغير
يغرد في صبح قلبي
والسطور ندى ابجدي
يبرعـم
بالكلمات القصيرة دربي
اكتبي همزة
فهي الان مشتاقة شفتي
ودمي الطفل هذا المحاصر بالجند
يشتـــاق
لحظـة لعـب .

الديوان من اصدارات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ـ سلسلة الشعر العربي الحديث ـ ١٩٨١ .

العراق ـ الكوت كاظم محمد حسين

● جبران في آثار الدارسين – جمع واعداد يوسف عبد الاحد – صمم الغلاف سمير الكرار – ٢٠٠ صفحة – حجم كبير – منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق – مطبعة الكاتب العربي بدمشق .

● التلاعب بالعواطف – اقاصيص شعبية – تاليف عبد الرحمن النابلسي – الرسوم للفنانة ابتسام شيباني – ١٢٠ صفحة – منشورات دار اليقظة العربية بدمشق – مطبعة الكاتب العربي بدمشق .

● وللهم هوامش الفيا – مجموعة قصص – تاليف نور الدين محمد سعيد – تقديم مدني صالح – مصمم الغلاف عاصم عبد الامير – ١٢٢ صفحة – دار الرشيد للنشر – وزارة الثقافة والاعلام العراقية – بغداد – لم يذكر اسم المطبعة .

● ترنيمة للحرب والبراءة – شعر – مؤمنة العوف – سلافة العامري – ١٨٠ صفحة – لم يذكر اسم المطبعة – صدر في بيروت .

● محاضرات الندوة الاعلامية المشتركة – ٣ نيسان ١٩٨٠ – ٨٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مجمع اللغة العربية الاردني – طبع في عمان – الاردن .

● جسد يحتضن الحب ويبتعد – مجموعة قصص – تاليف ضياء قصبجي – الغلاف للفنان فاتح المدرس – ١٢٨ صفحة – نشر بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب بدمشق – مطبعة الكاتب العربي بدمشق

● مملكتي ليست من هذا العالم – شعر – اديب صعب – تصميم واخراج عجاج العراوي – ١٤٠ صفحة – منشورات دار النهار – بيروت – لم يذكر اسم المطبعة .

● حنا جاسر : شاعر الثورة الفلسطينية في المهاجر الاميركية – نفحات من شعره – اختارها وقدم لها نعمان حرب – ٢١٤ صفحة – مطبعة سورية في دمشق .

● قمم الحب – شعر – خالد مصباح مظلوم – ١٤٢ صفحة – حجم كبير – صدر عن جدة بالسعودية – لم يذكر اسم المطبعة .

● رجال من فلسطين – تاليف عجاج نويهض – تقديم شفيق الحوت – ٤٠٠ صفحة – حجم كبير – منشورات فلسطين المحتلة – مطابع الكرمل الحديثة – بيروت .

● كتاب سير الائمة واخبارهم – تاليف ابي زكريا يحيى ابي بكر – تحقيق وتعليق اسماعيل العربي – ٢١٨ صفحة – حجم كبير – اصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية – سلسلة النصوص والدراسات التاريخية(٢) – مطابع زبانا في الجزائر العاصمة .

● الدراسات العربية والاسلامية في اوربا – تاليف الدكتور ميشال جحا – ٣٠٦ صفحات – حجم كبير – معهد الانماء العربي بيروت – الهيئة القومية للبحث العلمي في طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .

● العودة الى المدارة – شعر – جليلة رضا – ١٢٢ صفحة – منشورات مكتبة مصر بالقاهرة – دار مصر للطباعة بالقاهرة .

● مصطلحات زراعية – بمشاركة الخبراء الزراعيين : الدكتور عبد اللطيف عربيات واسامة السائح وجواد النجاري – اشرف على تحقيق الطباعة جواد النجاري – ٨٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مجمع اللغة العربية الاردني – مطبعة التوفيق في عمان بالاردن .

● بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تاليف ابي زكريا يحيى ابن خلدون – الجزء الاول – تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات استاذ التاريخ بجامعة الجزائر – ٣٢٤ صفحة – حجم كبير – اصدار المكتبة الوطنية – سلسلة النصوص والدراسات التاريخية – المكتبة الوطنية بالجزائر – لم يذكر اسم المطبعة .

● عبد الله قبرصي يتذكر – الجزء الاول – تاسيس الحزب القومي الاجتماعي وبدايات نضاله – تقديم انعام رعد – ٣٤٠ صفحة – حجم كبير – مؤسسة فكر للابحاث والنشر في بيروت – لم يذكر اسم المطبعة .

● منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين – طبعة ثالثة – نسخة منقحة ومزيدة – تاليف الدكتورة ثريا عبد الفتاح ملحس – ٢٣٤ صفحة – منشورات دار الكتاب اللبناني في بيروت .

● من قصص الاطفال – للكاتب الدانمركي هانس كريستيان اندرسن – ترجمة الدكتور عيسى الناعوري – ٩٢ صفحة – منشورات وزارة الثقافة والشباب الاردنية – عمان – مطابع المؤسسة الصحفية الاردنية

● ضوء من الوراء يشوه وجهك – شعر – جاك الاسود – ٩٤ صفحة – دار الباحث للطباعة والنشر في بيروت .

● الزيات والرسالة – تاليف الدكتور محمد سيد محمد – دراسات في الصحافة الادبية رقم ١ – الغلاف من تصميم عصمت البلك – ٢٣٠ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض – لم يذكر اسم المطبعة .

● الاعمش الظريف : اخباره ونوادره – تاليف الدكتور احمد محمد الضبيب استاذ بكلية الاداب جامعة الرياض – الغلاف من تصميم محسن منصور – ١٢٨ صفحة – المكتبة الصغيرة رقم ٣٥ – منشورات دار الرفاعي بالرياض – مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● الامير الشاعر تميم بن المعز – تاليف محمد عبد الغني حسن – مصمم الغلاف عصام طنطاوي – ٢٠٠ صفحة – المكتبة الصغيرة رقم ٣٦ – منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض – مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● الوراقة والوراقون في التاريخ الاسلامي – تاليف لطف الله قاري – مصمم الغلاف عصام طنطاوي – ٧٨ صفحة – المكتبة الصغيرة رقم ٣٧ – منشورات دار الرفاعي بالرياض – مطابع الروضة في جدة بالسعودية .

● بوح القوافي – شعر – نصر علي سعيد – تقديم انور الجندي – ٥٦ صفحة – مطبعة النوري بدمشق .